Journal of Islamic Sciences (JIS) • Vol 6, Issue 5 (2023) • P: 22 - 1
https://journals.ajsrp.com/index.php/jis
ISSN: 2664-4347(Online) • ISSN: 2664-4339 (Print)

The spread of the phenomenon of atheism and ways to resist it

Dr. Abdulhameed Abdo Mohsen Allaw
Sanaa University | Yemen

Received: 20/03/2023
Revised: 01/04/2023
Accepted: 18/09/2023
Published: 30/12/2023

* Corresponding author: ibnallaw2016@gmail.com

Citation: Allaw, A. A. (2023). The spread of the phenomenon of atheism and ways to resist it. *Journal of Islamic Sciences, 6*(5), 1 – 22. https://doi.org/10.26389/AJSRP.A200323

2023 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: Atheism is a phenomenon that afflict human societies, especially in the present era. The idea of atheism is based on criticizing religions and not recognizing them, and its idea depends on a number of philosophical, social and historical arguments. Recently, large numbers of Muslim children adopted this phenomenon and openly call for it, so there was a defect in belief and a lot of doubt and atheism, which caused confusion and led to deviant thought. This phenomenon has contributed to chaos, skeptical beliefs and spread suspicions. In view of the seriousness of the phenomenon of atheism and its negative results, the researcher worked on explaining this phenomenon, its components, causes and effects, and showed ways to confront it. To demonstrate this, the researcher followed the analytical inductive approach, in addition to the comparative approach, due to its compatibility with the research objectives. He focused on including the main axes of atheism, its components, and the reasons for the spread of this phenomenon. The researcher concluded the research by clarifying ways to combat this phenomenon, concluding with the most important findings and recommendations that he achieved through the study. The most important findings and recommendations were that there are special reasons for the spread of the phenomenon of atheism in our Arab and Islamic societies, including religious extremism, hatred instilling in the name of religion, and the cult of some personalities. In addition to the previous reasons, some people engage in the issues of fate and the existence of evil on earth, lack of purification of souls, and indulgence in desires as well as cultural superficiality. The study also recommended the importance of combating this phenomenon to get rid of and limit its spread in all possible ways and methods, whether by individuals or by groups and governments.

Keywords: phenomenon - spread - skepticism - suspicions – atheism.

تفشي ظاهرة الإلحاد وطرق مقاومتها

الدكتور / عبد الحميد عبده محسن علاو
جامعة صنعاء | اليمن

المستخلص: تعد ظاهرة الإلحاد من الظواهر التي تعصف بالمجتمعات البشرية لاسيما في العصر الحاضر، وتقوم هذه الفكرة على نقد الأديان وعدم الاعتراف بها، وتؤسس فكرتها على عدد من الحجج الفلسفية والاجتماعية والتاريخية، وقد ظهر في الآونة الأخيرة أعداد كبيرة من أبناء المسلمين تتبنى هذه الظاهرة وتجاهر بالدعوة إليها، فحصل الخلل في الاعتقاد وساور الكثير من الشك والإلحاد مما سبب الخلط والتخبط في أوحال الفكر المنحرف، والإسهام في نشر الفوضى والتشكيك في المعتقدات ونشر الشبهات، ونظراً لخطورة هذه الظاهرة ونتائجها السلبية السيئة، الأمر الذي استدعى معه قيام الباحث ببيان هذه الظاهرة ومكوناتها وأسبابها وآثارها، وسبل مواجهتها، ولبيان ذلك سلك الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي، بالإضافة إلى المنهج المقارن، وذلك لتوافقها مع أهداف البحث، وقد ركز الباحث على تضمين البحث المحاور الرئيسية المتمثلة في ماهية الإلحاد ومكوناته وأسباب تفشي هذه الظاهرة، واختتام خطة البحث بتوضيح طرق مكافحة هذه الظاهرة مختتماً ذلك بأهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها من خلال الدراسة والتي كان من أهمها: أن هناك أسباب خاصة لتفشي ظاهرة الإلحاد في مجتمعاتنا العربية، والإسلامية، منها التطرف الديني، وغرس الكراهية باسم الدين، وتقديس بعض الشخصيات، والخوض في مسائل القدر ووجود الشر في الأرض، وقلة تزكية النفوس، والانهماك في الشهوات والسطحية الثقافية، كما أوصت الدراسة بأهمية مكافحة هذه الظاهرة للتخلص والحد من انتشارها بكل الطرق والأساليب الممكنة سواءً من الأفراد أم من الجماعات والحكومات.

الكلمات المفتاحية: ظاهرة – تفشي – التشكيك – الشبهات – الإلحاد.

المقدمة

الحمد لله المتفرد بالخلق والايجاد المتناهي في الكمال والجمال، خالق الخلق والأكوان ذي الجلال والإكرام، أمر العباد بالإيمان به، وتوحيده وتمجيده، ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان في التشكيك في وجوده، وعظيم سلطانه وصفاته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين الذي دعا الناس إلى إخلاص التوحيد لله والإيمان به، فأجابه إلى ذلك كل ذي صاحب لب، وأقتفى أثره كل موفق، ولكن مع الأسف الشديد بعُد العهد بالدين القويم واجتالت الناس الشياطين، فحصل الخلل في الاعتقاد وساور كثير من الناس الشك والإلحاد، مما سبب الخلط والتخبط في أوحال الفكر المنحرف، وساعد على ذلك قيام الكثير من القوى الشريرة لدعم الانحراف الفكري، والإسهام في نشر الفوضى والتشكيك في المعتقدات، ونشر الشبهات، ومحاولة جعل الناس حيارى متشككين في دينهم وعقيدتهم، داعين الناس إلى ترك الدين والرضى بتخرصات الماديين من العلمانيين والملحدين، ونظرا لخطورة هذا الأمر وآثاره السيئة على الفرد والجماعة، توجب على أهل العلم من العلماء والدعاة والمتخصصين، العمل على دحض تلك الشبهات والوقوف سدا منيعا ضد سيل الهجمات المادية المعادية لدين الإسلام، وبيان الخطر الداهم من تلك الأفكار الهدامة، والتصدي لها بكل الإمكانيات المتاحة، ولأجل ذلك سعى الباحث إلى بيان معضلة الإلحاد وكيفية مواجهتها بشيء من الاختصار في هذا البحث المختصر، نسأل الله العون والتأييد.

أسباب اختيار البحث:

نظراً لخطورة ظاهرة الإلحاد، وتعمقها في المجتمع الغربي المنحرف، وسريان هذا المرض العضال في المجتمعات العربية والإسلامية، خاصة في الآونة الأخيرة، التي ظهرت فيها الكثير من التخبطات الناتجة عن أعمال وسلوكيات خاطئة من قبل الحكومات، وهفوات بعض المتصدرين للدعوة وإصلاح المجتمع والأعمال الفكرية المتنوعة، الأمر الذي حفز الباحث على، بيان هذه الظاهرة ومكوناتها وآثارها الكارثية المدمرة وسبل مواجهتها والتصدي لها.

مشكلة البحث:

إن طريقة تحليل وتحديد العوامل التي ساهمت في بروز ظاهرة الإلحاد تحتاج إلى مزيد من التأصيل، نظراً لتشعبها وتداخلها، ويتمثل المحور الأساسي لمشكلة البحث في معرفة ماهية الظاهرة الإلحادية وأسبابها وآثارها، وقد ضاعف من هذه الإشكالية تعدد الأسباب واختلاف عوامل الظهور، وخطورة الآثار السلبية لانتشارها، الأمر الذي يثير التساؤل حول إمكانية إيجاد حلول مناسبة لمقاومة هذه الظاهرة.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى ما يلي:

1- بيان ماهية الإلحاد ومكوناته
2- الوقوف على أسباب ظاهرة الإلحاد
3- طرق مكافحة الإلحاد وسبل الوقاية منه

الدراسات السابقة:

هناك الكثير من الدراسات التي عنيت بموضوع الإلحاد، وتناول الظاهرة من زوايا مختلفة، ومن الدراسات التي وقفت عليها:

1- الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، ضمن مطبوعات الرئاسة العامة للدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، سنة 1404هـ والرسالة تركز على ذكر أسباب الظاهرة، وطرق العلاج، إلا أن الرسالة خلت من ذكر مكونات الإلحاد، وذكر الرموز المؤسسة وطرق الانتشار، وهو الأمر الذي طرقناه في بحثنا.
2- الإلحاد أسبابه، طبائعه، مفاسده، أسباب ظهوره، علاجه، وهو عبارة عن كتاب مؤلف للأمام محمد الخضر حسين، ط. مكتبة ابن تيمية في الكويت عام 1406م. أوضح فيها الباحث جوانب من موضوع الإلحاد، وتحليل بعض من طبائع الملحدين حسب وجهة نظره، وركز على الأعمال التي تصدر عن الملاحدة، ولم يتعرض للبواعث، وذكر بعض أسباب الإلحاد، إلا أن الباحث فاته التحليل الدقيق للظاهرة ونشأتها، وكيفية معالجتها بالطرق العلمية الدقيقة،
3- الموسوعة الميسرة الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني ط، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، 1420 هـ، وفيه ركز الباحثون على تعريف الإلحاد، وذكر بعضا من أعلامه، ويصف البحث أن أتباع العقلانية هم المؤسسون الحقيقيين للإلحاد الذي ينكر

الحياة الآخرة، ولم يتعرض البحث إلى الأسباب لهذه الظاهرة ودراسة تاريخها بالتفصيل كما لم يذكر أي شي يتعلق بطرق معالجتها ووسائل مقاومتها.

4- إنك على الحق المبين، رؤية تأصيلية في تفكيك ظاهرة الإلحاد، محمد حسين عبد الله العواجي، ط مكتبة العبيكان، والتي ركز فيها الباحث على تفكيك ظاهرة الإلحاد، في أسلوب هادئ وممتع، غير أن الدراسة كانت عبارة عن مقالات تأملية، فلسفية، وبطريقة السرد ولم يكن هناك تقسيماً علميا، ولا ترتيبا حسب العرف الأكاديمي.

منهج البحث:

وقد سلك الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي، بالإضافة إلى المنهج المقارن، هذه المنهجية التي تتوافق مع أهداف البحث، مع اتباع المنهجية التالية:

1- لم أعرف بالأعلام والشخصيات والمذاهب

2- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها وذكر رقم الآية حسب ترتيب المصحف.

3- استخرجت الأحاديث النبوية الشريفة من متون الحديث.

خطة البحث: وتتكون من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، كما يلي:-

المقدمة: وتحتوي على مشكلة البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ، ومنهج البحث، وخطته.

المبحث الأول: ماهية الإلحاد.

المبحث الثاني: مكونات الإلحاد.

المبحث الثالث: أسباب ظاهرة الإلحاد.

المبحث الرابع: طرق مكافحة الإلحاد.

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: ماهية الإلحاد

لم تشهد البشرية عبر تاريخها الطويل مداً إلحادياً عارماً، كما هو الحال في ظل الحضارة المادية المعاصرة، كما لم يحصل انتشار للإلحاد في بلاد العرب والعالم الإسلامي إلا في هذا العصر، وبروز هذه الظاهرة في الأوساط العربية والإسلامية التي كانت محمية بالفكر الديني والتشريع الإلهي، الأمر الذي يدعو للاهتمام من قبل المختصين في الجوانب العلمية والفكرية والتربوية، وذلك للتصدي لهذه الظاهرة العبثية، التي تنتج آثار كارثية على الأفراد والمجتمعات، وفي البداية لا بد من التعرف على ماهية هذه الظاهرة وبيان معانيها وهو ما سنبينه فيما يلي:

المطلب الأول: تعريف الإلحاد في اللغة

قال الجوهري: وألحد فلان: مال عن الحق، وألحد في دين الله، حاد عنه وعدل، ولحد لغة فيه، وألحد الرجل: أي ظلم في الحرم، والتحد مثله، وأصله من قوله تعالى: (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإلحاد بِظُلْمٍ)، والباء في (بإلحاد) زائدة، الملحد: الجائر بمكة[1].

وقال ابن فارس: اللام والحاء والدال أصلٌ يدلُّ على ميل عن استقامة. يقال: ألْحَدَ الرجل، إذ مال عن طريقة الحقِّ والإيمان. وسُمِّي اللَّحدُ لأنه مائل في أحد جانبي الجَدَث. يقال: لحَدْت الميِّتَ وألحدت، والمُلْتَحَد: الملجأ، سمِّي بذلك لأن اللاجئ يميل إليه [2].

وقال الراغب: يقال: لحد بلسانه إلى كذا: مال، [3].

وقال الأزهري: معنى الإلحاد في اللغة: الميل عن القصد. وقال الليث: ألحد في الحرم إذا ترك القصد فيما أمر به ومال إلى الظلم وأنشد:

لما رأى الملحد حين ألحما صواعق الحجاج يمطرن دما[4]

(1) انظر: الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (534/2).

(2) انظر: هارون: معجم مقاييس اللغة ابن فارس، (236/5).

(3) انظر: الأصفهاني: المفردات في غريب القران، (737/1).

(4) انظر: الهروي: تهذيب اللغة، (244/4).

وقال ابن منظور: ولحَدَ فِي الدِّينِ يَلْحَدُ وأَلحَدَ: مالَ وعدَل، وَقِيلَ: لَحَدَ مالَ وجارَ. ابْنُ السِّكِّيتِ: المُلْحِدُ العادِلُ عَنِ الْحَقِّ المُدْخِلُ فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ، يُقَالُ قَدْ أَلحَدَ فِي الدِّينِ ولحَدَ أَي حَادَ عَنْهُ، وَقُرِئَ: لِسَانُ الَّذِي يَلْحَدون إليه [5].

والإلحاد لغة مصدر قولهم: ألحد يلحد، وهو مأخوذ من مادة (ل ح د) التي تدل على ميل عن الاستقامة، يقال ألحد الرجل: إذا مال عن طريقة الحق والإيمان، وسمي اللحد لحدا لأنّه مائل في أحد جنبي الجدث (القبر)، والملتحد: الملجأ، سمي بذلك لأن اللاجئ يميل إليه، وجاء في المعجم الوسيط: لحد في الدين، أنكر وجود الله [6].

المطلب الثاني: الإلحاد في الاصطلاحً

أولا: الإلحاد في الاصطلاحً الفقهي:

قال ابن عابدين: وَالْمُلْحِدُ: وَهُوَ مَنْ مَالَ عَنْ الشرعِ الْقَوِيمِ إلَى جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِ الْكُفْرِ، مَنْ أَلْحَدَ فِي الدِّينِ: حَادَ وَعَدَلَ لَا يُشْتَرَطُ فِيهِ الِاعْتِرَافُ بِنُبُوَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ وَلَا بِوُجُودِ الصَّانِعِ تَعالَى[7].

وقَالَ الكَفَوِيُّ: الإلحاد هُوَ المَيْلُ عَنِ الحَقِّ[8].

وقال الراغب الأصفهاني: وأَلْحَدَ فلان: مال عن الحقّ، والْإلحاد ضربان: إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب، فالأوّل ينافي الإيمان ويبطله، والثاني: يوهن عراه ولا يبطله [9].

وَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى أَنْ يَكُونَ تَعْرِيفاً لُغَوِيًّا، وَمِنَ المُمْكِنِ أَنْ نَقْتَبِسَ مِمَّا ذَكَرَهُ المُفَسرونَ تَعْرِيفاً اصْطِلاحِيًّا فَنَقُولُ: الإلحاد: هُوَ المَيْلُ عَنِ الحَقِّ وَالعُدُولُ عَنْهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى أَوْ بَيْتِهِ الحَرَامِ أَوْ بِآيَاتِهِ الكِرَامِ فِي دَلالَتِهَا أَوْ فِيمَنْ تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِ.

وقال الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق: نعني بالإلحاد: الكفر بالله، والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد، وظهور التكذيب بالبعث والجنة والنار وتكريس الحياة كلها للدنيا فقط [10].

والإلحاد عند الفلاسفة، هو إنكار وجود الله [11].

والذي يميل إليه الباحث هو تعريف الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق نظراً لشموله.

ثانياً: دلالة مفهوم الإلحاد في الاصطلاح المعاصر:

تشير الأبحاث التي عنيت بالتتبع والتقصي لمفهوم الإلحاد المعاصر إلى أنه قد تبنى الفكر الإلحادي المعاصر عدداً من المفاهيم منها ما يلي:

1- نشأ الكون تلقائيا، نتيجة لأحداث عشوائية، دون الحاجة إلى صانع.
2- ظهرت الحياة ذاتيا من المادة، عن طريق قوانين الطبيعة.
3- الفرق بين الحياة والموت هو فرق فيزيائي بحت، سيتوصل إليه العلم يوما ما.
4- ليس الإنسان إلا جسد مادي، يفنى تماما بالموت.
5- ليس هناك وجود لمفهوم الروح.
6- ليس هناك حياة أخرى بعد الموت.
7- من كل ما سبق، ليس هناك حاجة إلى القول بوجود إله (12).

كما يمكن تقسيم الملحدين إلى أربع مجموعات:

- علماء وفلاسفة، تبنوا الإلحاد، ثم وجدوا في نظرية التطور الدارويني (تطور الكائنات الحية نتيجة لطفرات عشوائية تحدث بالصدفة) حجتهم العلمية الكبرى.

(5) ابن منظور: لسان العرب، (388/3).
(6) انظر: د أحمد ناصر سيد، وآخرون، المعجم الوسيط، ص 471.
(7) انظر: ابن عابدين حاشية على الدر المحتار، (241/4).
(8) انظر: الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (490/1).
(9) انظر: الأصفهاني، الراغب، مفردات في غريب القرآن، (737/1).
(10) انظر: عبد الخالق، الإلحاد، أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، ص 6.
(11) انظر: صليبا، المعجم الفلسفي، (119/1).
(12) انظر: شريف، خرافة الإلحاد، ص 26.

- الشيوعيون الذين يريدون تحويل المجتمعات البشرية إلى مستعمرات من النمل والنحل، ولن يمكن تحقيق ذلك في وجود المعتقدات الدينية، فينبغي القضاء عليها، ولو بالقوة.
- أفراد غير متخصصين غير مأدلجين، وجدوا في القول بالإلحاد هروبا من قيود الدين أو إثباتا لذواتهم أو تحقيقا لمصالح أخرى.
- عدد لا بأس به من الصامتين من كل الديانات والمجتمعات والأجناس، ممن لديهم شك، لكنهم لا يطرحونه للنقاش. ويمكن إرجاع شك هذه الفئة إلى عاملين
- المظهر العلمي والفلسفي الذي يطرح به أصحاب الفكر الإلحادي القوى أفكارهم.
- الأسلوب المنغلق الذي تعلموا به دياناتهم، حيث يرفض معلموهم أي منطق أو علم يخالف ما يفهمون، وكما يدعى هؤلاء المعلمون الانفراد بالفهم عن الإله، وأن على الآخرين أن يُسَلِّموا لهم بذلك[13].

وخلاصة الكلام على مفهوم الإلحاد لغة واصطلاحاً: نلاحظ الآتي:

- إن معاجم اللغة نصت على أن الإلحاد في الدين هو الميل والعدول عنه أو الكفر، وكان تفسير الإلحاد بالكفر جلياً في المعاجم الحديثة التي ألفت في العصر الحديث.
- أن تفسير علماء التفسير لمادة لحد، في القرآن الكريم، أنه الميل عن دين الله والعدول عنه إلى الكفر، وفي حالة معينة فسروا الإلحاد بأنه المعصية في الحرم، عند ذكر الإلحاد في سورة الحج.
- أن الكتاب المعاصرين استعملوا كلمة الإلحاد للدلالة على ما هو كفر وخاصة اعتناق المذاهب المادية[14].

قال في الموسوعة الميسرة: الإلحاد هو: مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية، أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى، فيدّعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت [15].

المبحث الثاني: مكونات الإلحاد

يتكون الإلحاد من مجموعة من الأفكار والعقائد البارزة، والتي تحمل في طياتها مجموعة من التحليلات المعرفية التي تم تبنيها من عدد من الشخصيات الذين قاموا بصياغة عدد من النظريات وابتدعوا عددا من الأفكار التي تصب في نهاية المطاف في مصب الإلحاد، وإنكار الإله جل وعلا سبحانه، ولأجل بيان ما يتعلق بمكونات الإلحاد فإنه يجدر بنا بيان ذلك فيما يأتي:

المطلب الأول: الداروينية

الداروينية نسبة إلى تشارلز داروين الذي ولد لأبوين مسيحيين [16]، ويرتبط اسم داروين على الأقل في أذهان العامة المثقفين في العالم بأنه الرجل الذي نادى بنظرية التطور متحدياً فكرة الخلق، وذهب في ذلك إلى حد القول بانحدار البشر من القردة العلياء، ولكن الحقيقة أكثر تعقيداً من ذلك، حسب تعبير الأستاذ كريستوفر بوكر [17]. فيا ترى ماهي الداروينية ومن أهم شخصياتها، وماهي الأفكار والمعتقدات التي نادت بها.

أولاً: التعريف بالداروينية:

الداروينية حركة فكرية تُنسب إلى الباحث الإنجليزي شارلز داروين المولود في 12 فبراير 1809م والذي نشر كتابه أصل الأنواع سنة 1859م طرح فيه نظريته في النشوء والارتقاء وترك آثاراً سلبية على الفكر العالمي [18] ثم توفي تشارلز داروين عام 1882م بعد صراعٍ طويلٍ مع المرض الذي انتقل إليه من عض حشرة أثناء وجوده في البرازيل، [19].

---

(13) المرجع السابق، ص 27.

(14) انظر: عثمان، جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي، (21-22).

(15) انظر: الجهني، الموسوعة الميسرة (803/2).

(16) لم يكن داروين يهودياً، ولكن اليهود استغلوا نظريته على نطاق واسع وعملوا على نشرها في الأرض لما رأوه من إمكان الاستفادة بها في تحطيم عقائد الأمميين كما تقول البروتوكولات: لقد رتبنا نجاح نيتشه وداروين وإن تأثير أفكارهما على عقائد الأمميين واضح لنا بكل تأكيد انظر: إبراهيم، محمد بن قطب بمذاهب فكرية معاصرة، (93/1).

(17) انظر: خليل، سقوط نظرية دارون في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة، (39-40).

(18) انظر: الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي (925/2)

19)- انظر: كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص157، 351، وانظر: داروين، تشارلز، أصل الأنواع، انظر: القرطاس، قيس، نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها، وخوجه، د. حامد إسحاق، حقيقة نظرية داروين العدد (11) من مجلة الإعجاز العلمي، - 2006م.

ثانياً: التأسيس وأبرز الشخصيات:

1- **يعتبر شارلز داروين:** [20] مؤسس هذه المدرسة الذ ي نشر في سنة 1859م كتابه أصل الأنواع، وقد ناقش فيه نظريته في النشوء والارتقاء معتبراً أصل الحياة خلية كانت في مستنقع آسن قبل ملايين السنين. وقد تطورت هذه الخلية ومرت بمراحل منها، مرحلة القرد، انتهاء بالإنسان، وهو بذلك ينسف الفكرة الدينية التي تجعل الإنسان منتسباً إلى آدم وحواء ابتداء[21].

2- **آرثر كيت:** [22]يعترف بأن هذه النظرية لا تزال حتى الآن بدون براهين فيضطر إلى كتابتها من جديد وهو يقول: "إن نظرية النشوء والارتقاء لا زالت بدون براهين، وستظل كذلك، والسبب الوحيد في أننا نؤمن بها هو أن البديل الوحيد الممكن لها هو الإيمان بالخلق المباشر وهذا غير وارد على الإطلاق" [23].

3- **جوليان هكسلي:** [24]

وهو الذي يقول عن النظرية: - "هكذا يضع علم الحياة الإنسان في مركز مماثل لما أنعم به عليه كسيد للمخلوقات كما تقول الأديان"، كما قال "من المسلَّم به أن الإنسان في الوقت الحاضر سيد المخلوقات ولكن قد تحل محله القطة أو الفأر"[25]، ويزعم أن الإنسان قد اختلق فكرة الله إبان عصر عجزه وجهله، أما الآن فقد تعلم وسيطر على الطبيعة بنفسه، ولم يعد بحاجة إليه، فهو العابد والمعبود في آنٍ واحد[26].

4- **ليكونت دي نوي:** من أشهر التطوريين المحدثين، وهو في الحقيقة صاحب نظرية تطورية مستقلة.

5- **د.هـ. سكوت:** دارويني شديد التعصب، يقول: "إن نظرية النشوء جاءت لتبقى، ولا يمكن أن نتخلى عنها حتى لو أصبحت عملاً من أعمال الاعتقاد".

6- **برتراند راسل:** فيلسوف ملحد، يشيد بالأثر الدارويني مركزاً على الناحية الميكانيكية في النظرية، فيقول: "إن الذي فعله جاليليو ونيوتن من أجل الفلك فعله داروين من أجل علم الحياة" [27].

ثالثاً: الأفكار والمعتقدات:

تدور نظرية دارون حول عدة أفكار وافتراضات هي:

أ- تفترض النظرية تطور الحياة في الكائنات العضوية من السهولة وعدم التعقيد إلى الدقة والتعقيد.

ب- تتدرج هذه الكائنات من الأحط إلى الأرقى[28].

ج- الطبيعة وهبت الأنواع القوية عوامل البقاء والنمو والتكيف مع البيئة لتصارع الكوارث وتتدرج في سلم الرقي مما يؤدي إلى تحسن نوعي مستمر ينتج عنه أنواع راقية جديدة كالقرد، وأنواع أرقى تتجلى في الإنسان[29]، بينما نجد أن الطبيعة قد سلبت تلك القدرة من الأنواع الضعيفة فتعثرت وسقطت وزالت. وقد استمد داروين نظريته هذه من قانون الانتقاء الطبيعي لمالتوس.

د- الفروق الفردية داخل النوع الواحد تنتج أنواعاً جديدة مع مرور الأحقاب الطويلة.

هـ- الطبيعة تعطي وتحرم بدون خطة مرسومة، بل خبط عشواء، وخط التطور ذاته متعرج ومضطرب لا يسير على قاعدة مطردة منطقية [30].

---

(20) عالم البيولوجيا البريطاني، تشارلز روبرت دارون، 1809-1882م

(21) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (925/2).

(22) السير آرثر كيث، 1866- 1955، دارويني متعصب هو أحد علماء التشريح والأنثروبولوجيا (علم الإنسان). وهو بريطاني الجنسية وقد حصل على لقب السير في بلده .كان رئيسًا للجمعية التشريحية من سنة 1918 إلى سنة 1920، انظر: وكيبيديا الموسوعة الالكترونية، 18أغسطس 2023م.

(23) انظر: شريف، خرافة الإلحاد، ص 175 وما بعدها، وانظر: الموسوعة الميسرة، (925/2).

(24) السير جوليان هكسلي 1887- 1975، عالم بيولوجيا تطوُّري وأخصائي تحسين نسل بريطاني، يعتبر من أبرز داعمي الانتقاء الطبيعي، ومن الشخصيات الرائدة في علم التطوُّر في منتصف القرن العشرين دارويني ملحد، ظهر في القرن العشرين، حفيد توماس هكسلي الذي لقب بكلب داروين البولودج، انظر: ويكيبيدا الموسوعة الحرة، وانظر: الشريف د عمرو، خرافة الإلحاد، ص 184.

(25) انظر: المرجع السابق (926/2).

(26) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (926/2)

(27) برتراند أرثر ويليام راسل، 1872-1970م فيلسوف وعالم منطق ورياضي ومؤرخ وناقد اجتماعي بريطاني .في مراحل مختلفة من حياته، كان راسل ليبرالياً واشتراكياً وداعية سلام، انظر: المرجع السابق (926/2)

(28) انظر: شريف، خرافة الإلحاد، ص 175،

(29) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (925/2)

(30) انظر: الموسوعة الميسرة، (925/2).

و- تقوم النظرية على أصلين كل منهما مستقل عن الآخر، فالمخلوقات الحية وجدت في مراحل تاريخية متدرجة ولم توجد دفعة واحدة وهذا الأصل من الممكن البرهنة عليه، وهذه المخلوقات متسلسلة وراثيًّا ينتج بعضها عن بعض بطريقة التعاقب خلال عملية التطور البطيئة الطويلة. وهذا الأصل لم يتمكنوا من البرهنة عليه حتى الآن لوجود حلقة أو حلقات مفقودة في سلسلة التطور الذي يزعمونه.

ز- تفترض النظرية أن كل مرحلة من مراحل التطور أعقبت التي قبلها بطريقة حتمية، أي أن العوامل الخارجية هي التي تحدد نوعية هذه المرحلة، أما خط سيرها ذاته بمراحله جميعها فهو خط مضطرب لا يسعى إلى غاية مرسومة أو هدف بعيد لأن الطبيعة التي أوجدته غير عاقلة ولا واعية، بل إنها تخبط خبط عشواء[31].

المطلب الثاني: الشيوعية

الشيوعية مذهب فكري يقوم على الإلحاد وأن المادة هي أساس كل شيء ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي. ظهرت في المانيا على يد ماركس وإنجلز[32]، تجسدت في الثورة البلشفية التي ظهرت في روسيا سنة 1917م بتخطيط من اليهود، وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنار. وقد تضرر المسلمون منها كثيراً، وهناك شعوب محيت بسببها من التاريخ ولكن الشيوعية أصبحت الآن في ذمة التاريخ، بعد أن تخلى عنها الإتحاد السوفيتي، الذي تفكك بدوره إلى دول مستقلة تخلت كلها عن الماركسية، واعتبرتها نظرية غير قابلة للتطبيق [33].

أولاً: مفهوم الشيوعية:

الشيوعية في اللغة مشتقة من مادة شيع، وهي تطلق على عدة معان، منها الظهور والافتراق والانتشار والذيوع [34]، ومن خلال التأمل في مدلول الكلمة نجد أنها تدور حول الظهور، والانتشار، والافتراق والذيوع والعموم والشراكة. والنسبة إليها شيوعي وشيوعية.

ولقد أصبح اسم الشيوعية[35] اسمًا بغيضًا إلى القلوب يوحي بالشؤم، ويقترن بمحاربة الله والأديان والأخلاق والرحمة والطمأنينة والعدل، ويرمز إلى الشرور والإباحية والفوضوية والصراع الطبقي، والقضاء على الأسر ومصادرة الأموال العامة والحريات كلها -غير الجنسية [36].

ولقد قامت الشيوعية الماركسية كالمارد الجبار تريد أن تقيم مجدًا زائفًا على أنقاض الديانات الإلهية كلها، وإحلال الديانات الوضعية البشرية مكانها، شعارهم "لا إله والحياة مادة"، هدفهم هدم الأديان وإعلاء اليهودية، ومع أن شعارهم "لا إله" فهو شعار كذّاب، فقد أحلَّ طغاة الشيوعية أنفسهم محل الإله العظيم، وأحلوا تعاليمهم الإلحادية محل الدين، وقوانينهم محل الشريعة، فقد احتوت الشيوعية على جميع نواحي الحياة من ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية، بل وكل ناحية في حياة البشر بدلًا عن الإله وعن الأديان وكافَّة النظم البشرية.

ثانياً: الأسس والمبادئ التي قامت عليها الشيوعية

قامت الشيوعية على عدد من الأسس وأهمها: **المادية**، والجدلية – الديالكتيك، والتطور[37].

وتقوم النظرية الشيوعية على مجموعة من المبادئ يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

---

(31) انظر: الموسوعة الميسرة، (925/2)

(32) انظر: الجهني، الموسوعة الميسرة .(919/2).

(33) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (919/2).

(34) قال في لسان العرب: شاع الشيب شيعاً، وشياعاً، وشيعاناً، وشيوعاً، وشيعوعة، وتشيعاً: ظهر وتفرق وشاع الخبر في الناس يشيع شيعاً وشيعانا ومشاعا، وشيعوعة، فهو شائع: انتشر وافترق، وذاع وظهر، وتطلق هذه الكلمة أيضاً على التفريق يقال: أشعت المال بين القوم، والقدر في الحي: إذا فرقته فيهم، وتطلق أيضاً على العموم، يقال: أشاعكم السلام: أي عمكم، وتطلق على الشراكة يقال: هما متشايعان، ومشتاعان في واد وأرض إذا كانا شريكين فيها، وهم شيعاء فيها، وكل واحد منهم شيع لصاحبه، وهذه الدار شيّعة بينهم أي مشاعة، وأيضا تطلق على التفرق مثل قولهم: شاعت القطرة من اللبن في الماء، وتشيعت تفرقت انظر: لابن منظور، لسان العرب، ط دار صادر بيروت (191/8) مادة شيع.

(35) تعتبر الشيوعية خطة يهودية غاشمة، أسسها وروجها وأقامها اليهود بقصد إنهاك البشرية، وتحطيمها معنوياً واقتصاديا وأخلاقياً وسياسياً، ليتسنى لليهود إقامة دولتهم المنتظرة بزعمهم ويقصدون (مملكة إسرائيل الكبرى) ولا يزال اليهود في مؤتمراتهم ونشراتهم ومحافلهم، وبروتكولاتهم يعتزون مغتبطين بتأسيس الشيوعية، وقيامها وانتشارها، لأنها مرحلة من مراحل سيطرتهم وتحقيق مآربهم على أكتاف الأمم والشعوب. انظر: الرحيلي، أ.د حمود بن أحمد، الشيوعية وموقف الإسلام منها، ص 29.

(36) انظر: عواجي، المذاهب الفكرية المعاصرة (1064/2).

(37) انظر: العواجي، المذاهب الفكرية، ص: 1056.

1- إلغاء الملكية الفردية إلغاء باتا وإحلال الملكية الجماعية بدلا منها.
2- إلغاء الطبقات بإقامة دكتاتورية البروليتاريا وإبادة الطبقات الأخرى.
3- كفالة الدولة لجميع "المواطنين" في مقابل تكليف القادرين منهم بالعمل رجالا ونساء.
4- المساواة في الأجور.
5- إلغاء الدين.
6- تطبيق مبدأ "من كل بحسب طاقته، ولكل بحسب حاجته".
7- إلغاء الصراع من المجتمع البشري بإلغاء الباعث عليه وهو الملكية الفردية.
8- إلغاء الحكومة في المستقبل، وإقامة مجتمع متعاون متعاطف بغير حكومة [38]

ثالثاً: التأسيس وأبرز الشخصيات:

وضعت أسسها الفكرية النظرية على يد كارل ماركس اليهودي الألماني 1818-1883م وهو حفيد الحاخام المعروف مردخاي ماركس، وكارل ماركس شخص قصير النظر متقلب المزاج حاقد على المجتمع، مادي النزعة، ومن مؤلفاته: البيان الشيوعي الذي صدر سنة 1848م، ورأس المال ظهر سنة 1868م.

وساعده في التنظير للمذهب فردريك إنجلز 1820-1895م وهو صديق كارل ماركس الحميم وقد ساعده في نشره المذهب كما أنه ظل ينفق على ماركس وعائلته حتى مات، ومن مؤلفاته: أصل الأسرة، الثنائية في الطبيعة، الاشتراكية الخرافية والاشتراكية العلمية[39].

لينين: واسمه الحقيقي: فلاديمير أليتش بوليانوف، وهو قائد الثورة البلشفية الدامية في روسيا 1917م ودكتاتورها المرهوب، وهو قاسي القلب، مستبد برأيه، حاقد على البشرية. ولد سنة 1870م، ومات سنة 1924م، وهناك دراسات تقول بأن لينين يهودي الأصل، وكان يحمل اسماً يهودياً، ثم تسمى باسمه الروسي الذي عرف به مثل تروتسكي في ذلك [40]، ولينين هو الذي وضع التنفيذ وله كتب كثيرة وخطب ونشرات أهمها ما جمع في ما يسمى مجموعة المؤلفات الكبرى.

ستالين: واسمه الحقيقي جوزيف فاديونوفتش زوجا شفلي 1879-1954م وهو سكرتير الحزب الشيوعي ورئيسه بعد لينين، اشتهر بالقسوة والجبروت والطغيان والدكتاتورية وشدة الإصرار على رأيه في تصفية خصومه على القتل والنفي كما أثبتت تصرفاته أنه مستعد للتضحية بالشعب كله في سبيل شخصه. وقد ناقشته زوجته مرة فقتلها.

تروتسكي: ولد سنة 1879م واغتيل سنة 1940م بتدبير من ستالين، وهو يهودي واسمه الحقيقي بروشتاين. له مكانة هامة في الحزب وقد تولى الشؤون الخارجية بعد الثورة ثم أسندت إليه شؤون الحزب.. ثم فصل من الحزب بتهمة العمل ضد مصلحة الحزب ليخلو الجو الذي دبر اغتياله للخلاص منه نهائياً.

رابعاً: الأفكار والمعتقدات:

- إنكار وجود الله تعالى وكل الغيبيات والقول بأن المادة هي أساس كل شيء وشعارهم: نؤمن بثلاثة: ماركس ولينين وستالين، ونكفر بثلاثة: الله والدين، الملكية الخاصة.
- فسروا تاريخ البشرية بالصراع بين البورجوازية والبروليتاريا (الرأسماليين والفقراء) وينتهي هذا الصراع حسب زعمهم بدكتاتورية البروليتاريا.
- يحاربون الأديان ويعتبرونها وسيلة لتخدير الشعوب وخادماً للرأسمالية والإمبريالية والاستغلال مستثنين من ذلك اليهودية لأن اليهود شعب مظلوم يحتاج إلى دينه ليستعيد حقوقه المغتصبة!
- يحاربون الملكية الفردية ويقولون بشيوعية الأموال وإلغاء الوارثة.
- تتركز اهتماماتهم بكل ما يتعلق بالمادة وأساليب الإنتاج.
- إن كل تغيير في العالم في نظرهم إنما هو نتيجة حتمية لتغير وسائل الإنتاج وإن الفكر والحضارة والثقافة هي وليدة التطور الاقتصادي [41].

(38) انظر: قطب، مذاهب فكرية معاصرة، (414/1).
(39) انظر: المرجع السابق (920/2).
(40) انظر: الموسوعة الميسرة (919/2).
(41) انظر: المرجع السابق .(919/2).

- يقولون بأن الأخلاق نسبية وهي انعكاس لآلة الإنتاج.
- يحكمون الشعوب بالحديد والنار. ولا مجال لإعمال الفكر، والغاية عندهم تبرر الوسيلة.
- يعتقدون بأنه لا آخرة ولا عقاب ولا ثواب في غير الحياة الدنيا.
- يؤمنون بأزلية المادة وأن العوامل الاقتصادية هي المحرك الأول للأفراد والجماعات.
- يقولون بدكتاتورية الطبقة العاملة ويبشرون بالحكومة العالمية.
- تؤمن الشيوعية بالصراع والعنف وتسعى لإثارة الحقد والضغينة بين العمال وأصحاب الأعمال.
- الدولة هي الحزب والحزب هو الدولة[42].
- تكون المكتب السياسي الأول للثورة البلشفية من سبعة أشخاص كلهم يهود إلا واحداً وهذا يعكس مدى الارتباط بين الشيوعية واليهودية.
- تنكر الماركسية الروابط الأسرية وترى فيها دعامة للمجتمع البرجوازي وبالتالي لا بد من أن تحل محلها الفوضى الجنسية.

خامساً: الانتشار ومواقع النفوذ:

حكمت الشيوعية عدة دول منها: الاتحاد السوفياتي، الصين، تشيكوسلوفاكيا، المجر، بلغاريا، بولندا، ألمانيا الشرقية، رومانيا، يوغسلافيا، ألبانيا، كوبا، ومعلوم أن دخول الشيوعية إلى هذه الدول كان بالقوة والنار والتسلط الاستعماري، ولذلك فإن جل شعوب هذه الدول أصبحت تتململ بعد أن عرفت الشيوعية على حقيقتها وأنها ليست الفردوس الذي صور لهم وبالتالي بدأت الانتفاضات والثورات تظهر هنا وهناك، كما حدث في بولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا، كما أنك لا تكاد تجد دولتين شيوعيتين في وئام دائم[43].

أما في العالم الإسلامي فقد استفاد الشيوعيون من جهل الحكام وحرصهم على تدعيم كراسيهم ولو على حساب الدين، إذا اكتسحت الشيوعية أفغانستان وشردت شعبها المسلم كما تحكمت في بعض الدول الإسلامية الأخرى بواسطة عملائها.

ولهذا تقوم الدول الشيوعية بتوزيع ملايين الكتيبات والنشرات مجاناً في كافة أنحاء العالم داعية إلى مذهبها، وأسست الشيوعية أحزاباً لها في كل الدول العربية والإسلامية تقريباً فنجد لها أحزاباً في مصر، سوريا، لبنان، فلسطين، والأردن، تونس وغيرها لإنهم يؤمنون بالأممية ويسعون لتحقيق حلمهم بالحكومة العالمية التي يبشرون بها.

وفي الأخير ننوه إلى أن الشيوعية انهارت في معاقلها بعد قرابة السبعين عاماً من قيام الحكم الشيوعي وبعد أربعين عاماً من تطبيق أفكارها في أوروبا الشرقية وأعلن كبار المسؤولين في الاتحاد السوفيتي قبل تفككه أن الكثير من المبادئ الماركسية لم تعد صالحة للبقاء وليس بمقدورها أن تواجه مشاكل ومتطلبات العصر الأمر الذي تسبب في تخلف البلدان التي تطبق هذا النظام عن مثيلاتها الرأسمالية.

وهكذا يتراجع دعاة الفكر المادي الشيوعي عن تطبيقه لعدم واقعيته وتخلفه عن متابعة التطور الصناعي والعلمي وتسببه في تدهور الوضع الاقتصادي وهدم العلاقات الاجتماعية وإشاعة البؤس والحرمان والظلم والفساد ومصادمة الفطرة ومصادرة الحريات ومحاربة الأديان[44].

وتبين بعد انهيارها أنها لم تفلح في القضاء على القوميات المتنافرة بل زادتها اشتعالاً ولم تسمح بقدر ولو ضئيل من الحرية بل عمدت دائماً إلى سياسة الظلم والقمع والنفي والقتل وحولت أتباعها إلى قطيع من البشر. وهكذا باءت جميع نبوءات كارل ماركس بالفشل وأصبح مصير النظرية إلى مزبلة التاريخ، ثم انتهى الأمر بتفكك الاتحاد السوفيتي.

(42) انظر: الشيوعية، وموقف الإسلام منها، ص 46، وما بعدها.

(43) انظر: الموسوعة الميسرة (922/2).

(44) اقتنع الجميع بأنها نظرية فاسدة يستحيل تطبيقها حيث تحمل في ذاتها بذور فنائها وقد ظهر لمن مارسوها عدم واقعيتها وعدم إمكانية تطبيقها ومن أكبر ناقدي الماركسية من الماركسيين أنفسهم الفيلسوف الأمريكي أريخ مزوم في كتابه المجتمع السليم، ومن غير الماركسيين كارل بوبر صاحب كتاب المجتمع المفتوح، وغيرهما، يجيء جورباتشوف في كتابه البيروستريكا أو إعادة البناء ليفضح عيوب تطبيق الشيوعية في الاتحاد السوفيتي..

المبحث الثالث: أسباب مشكلة الإلحاد

كانت ظاهرة الإلحاد في العصور المتقدمة محدودة جداً وفي إطار ضيق، تتبناه مجموعة من الافراد وبشكل عشوائي غير منظم، إلا أنه في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلادي تطورت هذه الظاهرة وانتشرت انتشاراً واسعاً وفي بقاع شتى من المعمورة، وذلك بسبب عوامل كثيرة جعلت من الإلحاد والكفر بالله ديناً عاماً منتشراً.

المطلب الأول: أسباب رئيسية في البيئة الغربية

تعرض الكثير من العلماء والدعاة الى الله بالبحث وإجمال الأسباب التي ساهمت في انتشار ظاهرة الإلحاد وكانت خلاصة تلك الأبحاث تعدد الأسباب إلى:

1- الكنيسة الأوروبية:

ذكر العلماء الذين تتبعوا ظاهرة الإلحاد أن الكنيسة الأوروبية سبباً غير مباشر أحياناً وسبباً مباشراً أحياناً أخرى في نشر الإلحاد والزندقة والكفر الكامل بوجود الله، وذلك لأن القائمين على هذه الكنيسة من الرهبان والقساوسة أدخلوا في دينهم كثيراً من الخرافات والخزعبلات وجعلوها عقائد دينية، كرفعهم عيسى عليه السلام من مرتبة البشرية إلى الألوهية وظهور فكرة الخطيئة والصلب والخلاص، وأضافوا إلى ذلك كثيراً من الخرافات الدارجة عن الأرض والكون والحياة [(45)].

وعندما بدأ عصر النهضة الأوربية واكتشف بعض العلماء حقائق جديدة عن الأرض والكون والحياة، هب الرهبان والقساوسة ينكرون ذلك، ويتهمون من يعتقد بالحقائق الجديدة ويصدق بها بالكفر والزندقة ويوعزون إلى السلطات الحاكمة بقتلهم وحرقهم بالنار، ولقد لقي كثير من العلماء هذا المصير المؤلم جزاء مخالفتهم لآراء الكنيسة، ولكن حركة العلم لم تتوقف واستطاع العلماء أن يقدموا كل يوم براهين جديدة على نظرياتهم العلمية وابتدأت آراء الكنيسة ومعتقداتها تهزم كل يوم هزيمة جديدة وكانت الجولة في النهاية لعلماء المادة على رجال الكهنوت فاندفع الناس نحو الإيمان بالعلم المادي كإله جديد[(46)]، وبدأ الرفض الكامل لكل المعتقدات الدينية والكراهية العامة لكل عقيدة تنادي بالإيمان بالغيب واتهام الرسل جميعاً بالكذب والتدليس وهكذا برزت الموجة الأولى من موجات الإلحاد العالمي.

2- مظالم العالم الرأسمالي:

كانت أوروبا قد تخلصت جزئياً من سلطان الكنيسة وأكتشف خبراؤها الآلات الحديثة وقوة البخار فتحول الناس من الزراعة إلى الصناعة، وهرع أهل الإقطاع إلى التصنيع فامتلكوا المصانع الكبيرة وحازوا الثروات الضخمة واستغلوا العمال استغلالاً فاحشاً وانتشرت المظالم الهائلة وظهرت الطبقات المتفاوتة من رأسماليين جشعين إلى عمال فقراء مظلومين، وكان رؤية هذا الظلم الجديد، ومساندة رجال الدين أو سكوتهم عنه سبباً جديداً في انتشار الإلحاد والشك في وجود الله، واتهام الدين بمساندة الظلم أو عجزة عن تقديم حل ناجح لمشكلات الإنسان على الأرض وابتدأت العقائد الدينية تنحسر انحساراً جديداً عن حياة الناس وابتدأ الناس يعملون أفكارهم في خلق عقائد تستطيع أن تحل مشكلاتهم على الأرض، وتقنع عقولهم وعجزت الكنيسة الأوروبية أيضاً عن تقديم هذا العلاج للناس [(47)].

3- ظهور المذاهب الاقتصادية الإلحادية:

مما ساعد على انتشار موجة الإلحاد هو ظهور المذاهب الاقتصادية الإلحادية وخاصة الشيوعية التي بشر بها كارل ماركس، حيث أن القائمين على هذا المذهب الاقتصادي صبغوه بالصبغة العقائدية وأعطوه أبعاداً أخرى غير اقتصادية فزعموا أن الحياة التي يعيشها الناس حياة مادية فقط وأنه لا يوجد روح ولا بعث ولا إله، ولا حياة أخرى وأن الناس منذ وجدوا لا هم لهم إلا المصالح المادية وزعموا أن ظهور الأديان إنما كان من فعل الأغنياء ليلبسوا على الفقراء ويستغلوهم وأن الأخلاق كالأمانة والعفة والصدق ما هي إلا نتاج خبيث للفكر الديني الذي يريد أن يخدم المصالح الرأسمالية، واعتقد الشيوعيون لذلك أن الأنبياء ما كانوا إلا دجالين أرادوا بنشر أديانهم تخدير الشعوب لتستنيم للظلم والقهر.

وبهذا أصبح هذا المذهب الاقتصادي بفلسفته التي أطلقها على الأديان موجة جديدة من موجات الإلحاد والزندقة، ولعل هذه الموجة الجديدة التي جاءت بها الشيوعية كانت أعتى موجات الإلحاد جميعاً وذلك أن الشيوعية تبنت الدفاع عن المظلومين والفقراء

---

(45) انظر: الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء السعودية، الإلحاد أسباب الظاهرة وطرق علاجها، ص(8).

(46) وان هذا الإله سيحمل الرخاء والقوة والرفاهية للناس، وفتش الناس أسرار الكنيسة فهالهم ما رأوه من فساد أخلاقي بين الرهبان والراهبات وأرادوا التخلص إلى غير رجعة من السلطان الكهنوتي والقهر الزمني الذي مارسته الكنيسة ضدهم ومن الإتاوات والضرائب التي فرضتها الكنيسة على رقابهم

(47) انظر: الرئاسة العامة لإدارة البحوث، لإلحاد أسباب الظاهرة وطرق علاجها، ص(8).

وهذه قضية عادلة وإنسانية في ذاتها ولذلك تبنى هؤلاء الفقراء والمظلومون وهم أغلبية الناس دائماً هذه العقيدة الجديدة والدين الجديد لأنه يدافع عن مصالحهم ويتبنى قضاياهم وبالطبع أخذوا هذا الدين بفلسفته العقائدية وليس بفكره الاقتصادي فقط [48].

وبالنتيجة فقد انتشر الإلحاد سريعاً مع هذا المذهب الاقتصادي الجديد وكان النجاح الهائل الذي لاقته الدعوة الشيوعية بتفجير الثورة البلشفية في روسيا والاستيلاء على الحكم عاملاً كاسحاً في هدم الأديان ونشر الإلحاد وانتقاله ليصبح عقيدة عالمية، وابتدأت التحولات القسرية لشعوب بأجمعها نحو الإلحاد كما حدث في الجمهوريات الإسلامية في روسيا وكذلك في الصين وغيرها وما زال المد الإلحادي الذي تؤججه العقيدة الماركسية يمتد عبر بلدان العالم جميعها. وها هي البلدان العربية التي كانت معقلاً للإسلام تغزوها العقيدة الماركسية الإلحادية في عقر دارها.

4- اقتران الإلحادية بالقوة المادية:

رأى كثير من الناس أن أوربا لم تتقدم وتمتلك القوى المادية وتكتشف أسرار الحياة إلا بعد أن تركت أفكار الكنيسة وعقائدها، وأن دولة كروسيا لم تصبح دولة عظمى إلا بعد أن أعلنت أنها دولة إلحادية، ورأوا مع ذلك أن الدول التي ما زالت تتمسك بالدين دولاً متخلفة في القوة والصناعات فظن الناس لذلك أن الإلحاد سبب للقوة والعلم، وأن الدين يعني التخلف والجهل، ولما كان للعلم المادي آثاره الظاهرة والباهرة من تيسير حياة الإنسان على ظهر الأرض ونشر الرفاهية والرخاء فإن الناس انصرفوا عن العقائد الدينية وآمنوا بالعلم المادي كإله جديد قادر على أن يذلل لهم كل الصعاب على هذه الأرض، بل أطمعهم هذا الإله المادي أيضاً في الوصول إلى الكواكب الأخرى وتسخيرها في خدمة الإنسان وهكذا ساعد اقتران العلم المادي والكشوف الجديدة بالإلحاد على ظن الناس أن العلم ثمرة ونتيجة للإلحاد، وكان هذا خطأ عظيماً عمت بسببه موجة الإلحاد[49].

5- هزيمة العالم الإسلامي أمام الهجمة الأوربية:

ما كاد الأوربيون يمتلكون القوة المادية ويستخدمون الآلة ويبنون المصانع حتى اتجهوا إلى دول العالم بحثاً وراء الأسواق لمنتجاتهم الصناعية، وجلباً للمواد الخام اللازمة للصناعة، ولما كانت هذه الدول تطمع في الحصول على ما تريد بأبخس الأثمان أو بلا ثمن أصلاً فإنها استخدمت قوتها العسكرية النامية للحصول على ما تريد، ولما كان العالم الإسلامي في غاية التخلف والفقر والضعف العسكري والسياسي، فإنه لم يصمد طويلاً أمام الهجمة الأوربية الاستعمارية، وكان للهزيمة العسكرية التي مني بها المسلمون أمام الغزو الأوربي أثرها البعيد في زلزلة العقائد الإسلامية، وانحسارها أمام المد الإلحادي الذي حمله المستعمرون الأوربيون، وطفقت الشعوب الإسلامية، تقلد المستعمر الأوربي وتتشبه بأخلاقه وعاداته، وتدخل في عقيدته الإلحادية ظناً منها أن الأوربيين لم يصلوا إلى القوة إلا برفضهم للدين، وكانت هذه خطيئة جديدة وسبباً آخر أسهم في الظاهرة الإلحادية العالمية [50].

6- الحياة الجديدة ومباهج الحضارة:

فتح العلم المادي للناس أبواباً عظيمة من أبواب الرفاهية والترف ومغريات الحياة، فالمراكب الفخمة من سيارات وطائرات، وقطارات، ووسائل الاتصال ووسائل الراحة والتسلية، والمطاعم والمشارب الفاخرة، والألبسة الأنيقة، والتفنن العجيب في التلذذ بالحياة، والجري وراء الشهوات والمغريات كل هذا فتح على الناس ألواناً لم يعهدوها من الاستمتاع بالحياة، والانغماس في الشهوات والملذات[51].

ولما كان الدين بوجه عام ينهى عن الإسراف ويأمر بالقصد والاعتدال، ويحرم الاستمتاع بالحرام كالخمر والزنا والتعري فإن الناس الذين يجهلون سر أمر الدين بذلك ظنوا أن هذه قيوداً على حريتهم، وحجراً لملذاتهم وشهواتهم فازدادوا لذلك بعداً عن الدين،

---

(48) انظر: المرجع السابق (8).

(49) انظر: المرجع السابق والصفحة نفسها.

(50) انظر: عبد الخالق عبد الرحمن، الإلحاد اسباب الظاهرة وطرق علاجها ص: 15.

(51) كان لانطلاق الناس الصارخ نحو العب من الحياة والاستمتاع بكل ما أفرزته الحضارة الغربية من ملهيات ومغريات، واقتناء كل مستطاع من وسائلها الحديثة أثره البالغ في انشغال الناس عن كل شيء حتى عن أنفسهم، فضاعف الناس ساعات عملهم طمعاً في المزيد من الأجور ولتحصيل المزيد من وسائل الراحة كالغسالات والثلاجات والسيارات، ونحوها، وفي سبيل ذلك أيضاً انطلقت المرأة من المنزل لتشارك الرجل أعباء الحياة وتكاليفها الجديدة، وللحصول على مزيد من الرفاهية والراحة، وابتدأ السعار المجنون والرغبة الجامحة نحو اقتناء مغريات الحياة فتطلب ذلك زيادة في الجد والنشاط وانشغالاً بالليل والنهار، وهكذا بدأت دوامة الحياة تطحن الإنسان المعاصر وتشغله في ليله ونهاره ولا تترك له فرصة للتفكير في نفسه أو في مصيره فهو يعمل في متجره أو مصنعه ويعود لملهياته وشهواته ثم يعود إلى عمله وهكذا دون أن تترك له الحياة المعاصرة وقتاً للفراغ يستطيع فيه أن يفكر في حقائق الدين، وأن يجيب عن الأسئلة الخالدة التي تتردد داخل كل نفس: من خلق هذا الكون؟ ومن خلقنا؟ ولماذا خلقنا؟ وإلى أين نسير؟ وهل لهذا العالم نهاية؟ وهل له من بداية؟ ولماذا يعيش الناس متفاوتين فهذا غني وهذا فقير، وهذا ظالم، وذاك مظلوم، وهذا قاتل، وذاك مقتول؟ وفيم كل هذا؟ بل بقيت هذه الأسئلة حائرة في أكثر النفوس وبلا جواب وذلك أن الإنسان المعاصر المستهلك الذي تطحنه دوامة الحياة لا يجد وقتاً للتفكير في كل هذه الأسئلة.

وكراهية لمن يذكرهم بالآخرة ومن يحذرهم من نار أو يطمعهم في جنة. وبذلك أيضاً ازدادت غربة العقائد الدينية وانتشرت عقائد الإلحاد والزندقة.

المطلب الثاني: أسباب ظاهرة الإلحاد في العالم الإسلامي

تعد ظاهرة الإلحاد من الظواهر المعقدة التي قد تتداخل فيها العديد من العوامل المسببة لها، وتنوع العوامل من فكرية، ونفسية واجتماعية، يحتاج إلى بذل الجهد والوسع من أجل تحليلها، والوقوف على مكامنها، وذلك يأتي من خلال قيام المختصين من ذوي القدرات والاختصاص من أهل الفكر والفلسفة وعلماء الدين وعلماء النفس والاجتماع، وغيرهم، ولكن لا بأس بأن يدلي الباحث بدلوه بغية الوقوف على بعض الأسباب التي يمكن أن تكون من البواعث لانتشار ظاهرة الإلحاد في عالمنا الإسلامي [(52)].

وهكذا تتنوع وتتعدد الأسباب التي تدفع بعضا من أبناء المسلمين للوقوع في مخالب ظاهرة الإلحاد، لكنها في المجمل عند النظر إليها وتفحصها، يلاحظ أن بعضها يرجع إلى الفكر، وبعضها يرجع إلى السلوكيات، كما تختلف الأسباب من شخص إلى آخر، وتختلف تأثيراتها من واقع إلى آخر، والحاصل أنه يمكن تقسيم أسباب انتشار ظاهرة الإلحاد في العالم الإسلامي إلى قسمين، أحدهما متعلق بالفكر والدين والآخر بالسلوك والممارسات.

أولاً: أسباب لها تعلق بالدين والفكر:

1- التطرف والجمود الديني:

ينشأ في بعض الأوساط الإسلامية أنواع من التشدد الديني مما يسبب النفور والكراهية من قبل بعض ابناء المسلمين كردة فعل نفسية في مقابل التشدد والتطرف، ولقد لوحظ على كثير من ابناء المسلمين ممن تشربوا فكر الإلحاد أنهم كانوا قد تربوا ونشأوا في بيئات دينية واجتماعية متشددة، ووجد أن بعضهم كان قد قطع شوطاً لابأس به في مجال التعليم الديني، فبعضهم حفظ القرآن الكريم أو أكثره، وتتلمذ على مشايخ العلم وشارك في الأعمال الدعوية فترة من الزمن، وفي الاخير جنح إلى الإلحاد.

ويظهر من ذلك أن التشدد الديني القائم على الفهم الخاطئ لتعاليم الدين الإسلامي السمح ومقاصد الشريعة الغراء، يعمل على إنشاء نفسية حدية شديدة في تبني الآراء والتحيز للأقوال والأفعال، سرعان ما تنهزم في حال تغيرت بعض الظروف والأحوال، فيحصل المتشدد نوع من التقهقر والحيرة والشك، فيتبنى التطرف في الجهة المقابلة لما كان عليه، فيتجه نحو الإلحاد والشك فيما كان يعتقده ويدعو إليه، بل ويتبنى موقف المعادي للدين والعقيدة، ويدعو إلى ترك التدين والبعد عن العقيدة السليمة، والتصريح بكثير من الأفكار المخالفة والمضادة لما كان عليه من تدين سابق، ويعمل على محاربة التدين بكل طاقته.

كما أن الاستبداد الديني التي تمارسه بعض السلطات، وموافقة بعض القائمين على حماية الشريعة والدين، للاستبداد السياسي والظلم، وإيجاد مشروعية له لسبب أو لآخر، يعد من دواعي اتخاذ بعض ابناء المسلمين موقف من الدين والعقيدة ذاتها، وليس من الأشخاص المخالفين، فيتجهون نحو الإلحاد.

ومن ذلك ما يمارسه بعض المتصدرين للدعوة ونشر الدين والعقيدة من الخطاب الديني المأزوم الغير منضبط بأحكام الشريعة الغراء، كتناول بعض الدعاة لبعض المسائل الفقهية الاجتهادية التي يسع فيها الاختلاف، وكأنها مسائل يقينية لا تقبل الخلاف والنزاع في الرأي، ويؤكدون على المنع منها ويبثون هذه الاحكام في عقول الناشئة والمتلقين، ثم ما إن يجد هذا الطالب المتلقي أن هناك رأيا علمياً، وموقفا فقهيا مغايراً للرأي السابق الذي تلقاه وكأنه من المسلمات، إلا ونشأ في نفسه الشك في معتقده ودينه وما تلقاه جملة وتفصيلاً، وتصيبه عقده نفسية من كل ماله صله بالدين، فيشك في كل شئ ثم ينتقل من الشك إلى اللاأدرية، فلم يعد يدري هل ما هو عليه سابقاً من تدين حق أم باطل، وبعضهم يفضل البقاء بلا دين لنفسه، وبعضهم وهم الأكثر يصل إلى قمة الإلحاد يتبناه ويدعو إليه [(53)]!

2- كبت التساؤلات المهمة التي تبحث عن إجابات:

تنشأ لدى الإنسان باعتباره كائن حي عاقل مفكر العديد من التساؤلات والأفكار في خضم معترك الحياة ولاسيما في ظل انفتاح النوافذ الفكرية والثقافية التي يتلقى منها أبناء المسلمين الكثير من المعارف والعلوم، هذه التساؤلات الناشئة تحتاج إلى إجابات شافية مقنعة، لكن مع الأسف الشديد نجد أن الكثير من الدعاة، والعلماء المتصدرين للتعليم والدعوة والمتخصصين في العلوم الشرعية، الذين يعول عليهم في إيجاد الإجابات الصحيحة وإزالة الإشكالات، نجدهم يمارسون الكبت والتخويف والتعنيف لمن يطرحون تلك

(52) انظر: العوهلي، موقع المقال على الشبكة العنكبوتية، بتاريخ 2012/2/12م،
https: //www.almqaal.com/?p=1702

(53) انظر: العوهلي، المرجع السابق.

التساؤلات والاستفسارات الفكرية والعقدية، فتحصل ردة فعل من أصحاب التساؤلات تجاه الدعاة والعلماء، فيتجه الكثير منهم نحو النفور من الدين والتدين ويتبنى موقف رافض للدعاة والعلماء ولما هم عليه.

ومن الأمثلة على هذه التساؤلات، التساؤل أين عدل الله؟ ولماذا يوجد هذا الشرَّ في الأرض، وكيف يرضى الله بهذا الشر؟ وأين عدل الله في كل ما نراه؟ [54]، وهناك أسئلة في القضاء والقدر[55] مثل: هل الأنسان مخير أم مسير؟ لماذا يقدر علي الله أن أعصيه ثم يعذبني؟ لماذا يقدر علي أن أكفر ثم يعذبني؟

وغيرها من الأسئلة، والجواب عنها في نظري سهل وهو أن الخالق الحكيم جلت عظمته متعالٍ على الزمان والمكان فهو جل جلاله لا يجري عليه قانون الزمان الذي يجري علينا، والمحصلة يصبح افتراض هذه الإشكالات كلها غير صحيح في الأصل، وهناك إجابات أخرى كثيرة ومتينة ليس هذا موطن ذكرها[56].

والمتعين على أهل العلم من العلماء المتخصصين والدعاة المؤهلين المهتمين بتربية الناس وحلول مشاكل المجتمع أن يتحلوا بسعة الصدور في تلقي الاشكالات وتقبل التساؤلات برحابة صدر مهما كانت شديدة ومهما كان طريقة أصحابها غير صحيحة، وعليهم قبل ذلك التسلح بالعلوم النافعة، والمعارف الدقيقة، والمهارات المتنوعة التي تستوعب الأحوال والمستجدات الجديدة في المجتمعات وإيجاد الحلول المناسبة، وإزالة الاستشكالات المطروحة بكل مهنية واقتدار، وبالانضباط العلمي والمعرفي، والتمكن من معرفة أنماط الناس وطرق التأثير فيهم، وحسن التعامل مع الناس بما يتوافق مع الفطرة السليمة وسماحة الدين والشريعة.

3- غرس الكراهية باسم الدين:

يمارس بعض المتدينين وغيرهم من أفراد المسلمين على غيرهم نوعاً من الوصاية، حيث يأمرونهم بكراهة غيرهم من المختلفين معهم دينياً أو مذهبيا، دون مسوغ شرعي إلا المخالفة في الدين أو المذهب، ولكون الإنسان بطبيعته اجتماعياً يبادل المقربين منه سواء في المسكن أو العمل والوظيفة الاحترام والقرب وحسن الأخلاق في التعاملات المختلفة، فلما يأتي من يملي عليه ويأمره بالابتعاد عن هذا الصنف من الناس، بل ويوجب عليه كراهيتهم وسوء معاملتهم، يحصل منه النفور والرفض نظرا لصعوبة ما يطلب منه على نفسه، ومخالفته لما فطر الناس عليه من محبة الآخرين والقرب منهم وحسن التعامل الإنساني تجاههم، لاسيما مع حسن معاملتهم له وحسن أخلاقهم ومعاملتهم.

ونتيجة لتلك الإملاءات يضطر الكثير من الناس للنفور من الدين والتدين، واتخاذ موقف عكسي مضاد لتعاليم الدين والشريعة، وتبني موقف الإلحاد، الذي يظهر منه احترام الناس وعدم التدخل في شؤونهم، والحفاظ على الكرامة الإنسانية وعدم المساس بها، وهذا في الحقيقة باطل، إذ أن الإيمان الحقيقي المنبثق من الفهم السليم للدين الإسلامي الحق هو الذي يعزز الكرامة الإنسانية ويعمل على حفظها ويحث على احترام الآخرين كلاً بحسبه، وفي ذلك تفصيل دقيق لأنواع العلاقات الاجتماعية والتعاملات البشرية مبثوثة في ثنايا تعاليم الدين الإسلامي الحنيف دون إفراط ولا تفريط[57].

4- انتشار العقلية الأسطورية ومحاولة الخروج عليها:

يُغرق الكثير من المتصدرين للخطاب الدعوي والبلاغ الديني في استعمال الكثير من القصص والروايات الغير ثابتة، والتي تروي معجزات وخوارق للعادات تتناقض مع السنن الكونية والقوانين الطبيعية التي وضعها الله سبحانه وتعالى في كونه ومخلوقاته، الأمر الذي يسبب حدوث التناقض في فكر الكثير من المتلقين لتلك القصص والروايات ويختلط عليهم الأمر، ويحصل لديهم التناقض بين التنظير والتطبيق، ومن ثم ينشأ الشك والتكذيب لكل الروايات والقصص، سواء منها ما ثبت ومالم يثبت وما صح وما لم يصح، ولذلك يتعين

(54) وجود الشر أمر حاصل بتقدير الله سبحانه في هذه الأرض، وهذه القضية من القضايا التي تكلم عليها الفلاسفة قديما وحديثاً، فالشر منتشر في هذا العالم، القتل والقتال وأنواع الظلم، والأمراض والكوارث، وشتى أنواع الشرور، ومع أن الشر يعتبر جزءا من تكوين هذا العالم لا ينفك عنه في كل زمان ومكان، إلا أن هناك طائفة من الناس لا يتقبلون هذه الحقيقة بصدر رحب، بل تسبب لهم الشك وعدم القناعة، ولا يشعرون براحة الضمير حيال هذه الأنواع من الشرور، ولأن هذه النوعية من الناس في الغالب تغلب عليهم النفسية العاطفية، والأحاسيس الدقيقة، وتختلط عليهم الأمور، مع وجود بواعث أخرى في الأعماق تكون هي السبب الرئيسي لهذا الموقف الفكري الذي يتبنونه انظر: ليطمئن عقلي، أحمد خيري العمري، مرجع سابق، ص 261.

(55) سلك جماهير العقلاء في هذا الباب في كل واد، وأخذوا في كل طريق، وتولجوا كل مضيق، وركبوا كل صعب وذلول، وقصدوا الوصول إلى معرفته، والوقوف على حقيقته، وتكلمت فيه الأمم قديما وحديثا، وساروا للوصول إلى مغزاه سيرا حثيثا، وخاضت فيه الفرق على تباينها واختلافها، وصنف فيه المصنفون الكتب على تنوع أصنافها، فلا أحد إلا وهو يحدث نفسه بهذا الشأن، ويطلب الوصول فيه إلى حقيقة العرفان. انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، ط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: 1398هـ/1978م، ص2.

(56) انظر: العمر، ليطمئن عقلي، ص 261.

(57) انظر: موقع المقال بتاريخ 2012/2/12م، https: //www.almqaal.com/?p=1702

على الدعاة والمصلحين مراعاة أحوال الناس والحفاظ على عقولهم وأفكارهم، وعدم نشر القصص والحكايات الخرافية التي لم تثبت، وعدم الركون إلى العواطف والمؤثرات النفسية التي لا تنضبط بقواعد العلم والمعرفة، لأن آثارها سلبية على الفرد والمجتمع [58].

5- وهم اليقين الكامل، المطلق: يتطلب الكثير من الناس الوصول إلى درجة اليقين المطلق، تلك المنزلة التي وصل إليها الأنبياء عليهم السلام، فمنهم من كلمه الله، ومنهم من أجرى على يديه المعجزات وخوارق العادات، وهذا الأمر من الصعوبة بمكان على بني البشر، حيث اقتضت السنة الإلهية أن يتفاوت الناس في الوصول إلى درجة اليقين بالله تعالى، فمنزلة النبيين هي أعلى المنازل وبعدها منزلة الصديقين والشهداء والأولياء الصالحين، والمطلوب من المرء أن يعمل على تعزيز ثقته بالله تعالى، ويعمل جاهدا للوصول إلى أعلى المراتب الدينية.

فليس مطلوبا من المؤمن أن يتوقع بلوغ درجة اليقين الخاصة هذه، إن على الإنسان أن يسأل الله دوما أن يزيده يقينا، لكن من الخطأ ومن العجيب أن ينتظر الإنسان أن يريه الله شيئا خاصا به أو يخرق له قانونا من قوانين الطبيعة كي يؤمن به، ثم إن لم يحصل له هذا صد عن فكرة الإيمان [59].

6- قلة التزكية وحدوث الجفاف الروحي: جبلت النفس البشرية على السكون إلى الله جل وعلا، وعدم السكينة في البعد عن الله، الاتصال الروحي بالرب جل وعلا يضفي على النفس الوقار والأمن والطمأنينة، وبدونه يحصل الاضطراب والقلق وتقلب الأحوال النفسانية، مما يسبب الشكوك والشبهات، التي تفتك بالقلب وتجعله في حالة من عدم الاستقرار وتقوده إلى ظلمات الشك والوقوع في براثن الغموم المتتالية، وبتزكية النفوس يحصل الأمن والطمأنينة، والاستقرار، وتعم السكينة جوانب الإنسان فيعيش راضياً مقتنعاً مهما كانت الظروف والمعوقات.

7- الإلحاد كموضة فكرية: تستحوذ على كثير من الشباب حالة من الاستعراض الفكري، وجلب الانظار إليهم، وذلك بظهورهم بمظهر المفكرين الناضجين البعيدين عن السطحية، ويرمون غيرهم بالاستسلام والضعف الثقافي، هذه الثلة من الشباب، يبحثون عن أماكن في أوساط المجتمعات، حيث أنهم لم يستطيعوا أن يحققوا أعمالاً توجد لهم المكانة في مجتمعاتهم، فلذا تجدهم يجذبون الانظار إليهم، بالطرح المتسم بالمادية الإلحادية، مما يجعل الناس يهتمون بهم ويتابعون أطروحاتهم، وأفكارهم، وهم في الحقيقة باحثون عن لهث الشهرة، وتحقيق المكانة الاجتماعية المرموقة، ولكن بطريق الانحراف عن الجادة.

ثانياً: أسباب تتعلق بالممارسات العلمية:

1- **تعظيم وتقديس الأشخاص:** يقع بعض الناس في مصيدة تقديس الأشخاص، فينظر إلى بعض الناس وكأنهم ترقوا عن مرتبة البشرية، ويراهم بعين الإكبار ولا يتوقع منهم حصول الخطأ والزلل، فإذا حصل من أحدهم ولاسيما المشاهير من العلماء والدعاة خطأ، فكأنها وقعت الواقعة، وبدلاً من قبول الأمر على أنه صادر من بشر يصيبون ويخطئون، فأنه تحصل لدى بعض الناس ردة فعل قوية، حتى يصل بهم الأمر إلى النفور من الدين ذاته، مع أنه لا يوجد في ديننا بحمد الله تعالى كهنوت ولا تقديس للبشر، فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهذه الحالة تنشأ من عدم الموضوعية لدى الكثير من الناس فلا يستطيعون الفصل بين الدين وبين من يدعون إليه، مع أن المتفق عليه بيننا في الوسط العلمي أن الحق لا يعرف بالرجال وإنما الرجال يعرفون بالحق، ولكن مع الأسف يحصل الخلط وتحصل مثل ردات الفعل هذه، ومن المهم الإشارة إلى أن ردات الفعل غالبا لا تكون هي السبب الأوحد وراء الإلحاد ولكن تكون بمنزلة المحرض وتصنع لدى الشخص القابلية لترك الدين.

2- **حصول الحروب وأنواع العنف والأحداث باسم الدين والعقيدة:** حصلت العديد من الحروب والنزاعات في تاريخ البشرية، حصدت الملايين من البشر، وكان الدافع لها في أغلب الأحيان هي الدوافع الدينية، والصراع الفكري، ومع أن التنازع طبيعة بشرية، إلا أن الكثير من الناس عند النظر إلى تلك الوقائع، يرجع السبب إلى الدين نفسه، مما يجعله يتخذ قرار الهروب من التدين الذي يعتبره هو المسبب للقتل والقتال، والحروب الفتاكة، التي فتكت ببني البشر عبر العصور المتلاحقة، والحقيقة أن هذا لا يعتبر مبرراً للناس لترك التدين بالدين الحق، والجنوح نحو الإلحاد، بل هذه ردة فعل عاطفية لا صلة لها بالحقيقة التي تؤكد أن الصراع في الحياة طبيعة بشرية، ولو لم يكن هناك دين، فالبشر يحصل بينهم التنازع والاختلاف على كثير من القضايا غير الدين، مثل الأموال والأوطان والأعراق والأطماع الأخرى.

والخلاصة أن الدين وحده ليس هو المسبب الرئيس في وجود الحروب وإنما طبيعة الإنسان نفسه، وإذا وجدت حروب باسم الدين، فلا يعد ذلك مبررا للناس لترك الدين، فالحجة ليست على الدين، وإنما الحجة على الناس المتسببين في تلك الحروب والنزاعات والدين منها براء.

(58) انظر: العوهلي المرجع السابق

(59) انظر: موقع المقال بتاريخ 2012/2/12م، https: //www.almqaal.com/?p=1702

3- **تدهور الأوضاع وتخلف الأمة وتمزقها:** تعاني الأمة الإسلامية والعربية على جهة الخصوص، من التدهور في نواح شتى من الجوانب، وينخر في جسد الأمة التخلف الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والتدهور النهضوي، هذا الوضع المزري الذي تعيشه الأمة يدعو بعض الشباب إلى ترك الدين، ويعزو التخلف والتدهور إلى الدين، مع الأسف الشديد متسائلاً أن لو كان ديننا هو الحق فلماذا نحن في آخر القافلة، وفي الحضيض من واقع الأمم، ويعمل المقارنة بين أوضاع بلداننا وبعض بلدان العالم المتقدم مادياً، وينسى أن هذه هي سنة الحياة والتاريخ، وأن الأمة التي تأخذ بأسباب القوة والتقدم هي التي تقود الركب الحضاري، وأننا لو سلمنا بمنهجية أن الأمة المتقدمة هي صاحبة المعتقد أو الفكر الصحيح لكنا غيرنا ديننا كل ٢٠٠ أو ٣٠٠ سنة وصرنا كل مرة نتبع الأمة المتقدمة بحجة أنها على حق! ولذا فإن هذه ليست منهجية صحيحة في معالجة الأفكار وبحثها كما يدفع بعض الشباب تمزق الأمة وتشتتها وتفرق كلمتها، للحيرة والتشكك، ومع أن هذا التفرق هو مما أخبر به الرسول -عليه الصلاة والسلام- إلا أنك تجد بعض الناس محتاراً عندما يرى أمامه مذاهب شتى تتنازع وتختلف فيما بينها ولا يعلم أيها يمثل الحق، وحينها يبدأ بالتساؤل، ومع أن البحث والتساؤل أمر محمود إلا أن بعضهم قد يفضي به التساؤل إلى رفض الدين كله[60]

4- **واقع المرأة:** تعاني المرأة في بعض المجتمعات من الاضطهاد بسبب عدم فهم الدين الإسلامي فهماً صحيحاً من قبل الكثير من الرجال، وتحصل الكثير من الممارسات الغير شرعية ضد النساء، مما يؤدى بكثير من النسوة إلى التضرر من هذا الواقع المشين، ومحالة الهروب إلى واقع أفضل من ناحية الحقوق والحريات، الأمر الذي جعل كثير من النساء تحت ضغط الواقع، واستغلال الجهات الاجنبية للأوضاع في جانب المرأة إلى التشكك في تشريعات الدين ويؤدي في النهاية إلى ترك الدين ورفض الممارسات الشديدة من قبل البعض باسم الدين[61].

5- **الاندفاع والعجلة:** يعاني بعض الأشخاص من سمة الشخصية العجولة الاندفاعية، وأصحاب هذه الشخصيات، معرضة أكثر من غيرها للوقوع في براثن الشك والإلحاد، والشخصية المتزنة الوقورة، تتصف بالصبر والحكمة حيال ما تتعرض له من ظروف وتقلبات الحياة، فهناك من الناس من يبقى السنين الطوال في البحث عن الحقيقة والتحري المستمر، بنفسية صبورة ومتزنة، لا تنهار أمام الشكوك والشبهات التي تعرض لها، وأما أصحاب الشخصيات المندفعة فسرعان ما تقع في الشكوك وتنهار أمام الاضطرابات الفكرية، وتفضل الهرب من الدين إلى الإلحاد ونفي وجود الرب جل وعلا.

6- **الاعتداد بالذات والغرور المعرفي:** يعتري بعض الناس الذين حصلوا نسبة معينة من العلوم والمعارف الغرور بالذات، ويصابون بمرض العظمة الأمر الذي يجعل هذا النوع من الناس عرضة للزيغ والانحراف، ويدعوه للسقوط في مستنقع الإلحاد، تعالياً وغروراً بما عنده من المعارف، وإن كانت في حقيقتهما معارف هشة، إذ لو كانت معارف وعلوم أصيلة لقادته إلى الإيمان واليقين بالرب جل وعلا.

7- **سعار الشهوات وسيطرتها ومحاولة التخلص من وخز الضمير:** يصاب الكثير من الشباب بالضعف الشديد أمام الشهوات، لاسيما في عصرنا هذا المتخم بالشهوات المتنوعة والشبهات المتراكمة، هذا الضعف الذي يجعل الكثير عاجزا عن الدفاع والتحصن أما هجوم الشهوات والملذات، فيقع فيها كثيراً، ولكن لأن من طبع الأنسان أن لديه ضمير في داخله يؤنبه على ما يرتكب من الزلات والخطايا والموبقات المحرمة، فأن الأنسان الضعيف هذا يجنح إلى التخلص من وخز الضمير بلجوئه إلى الإلحاد [62].

8- **الثقافة السطحية:** يقع الكثير من الشباب المحب للاطلاع فريسة سهلة في مصيدة القراءة المتنوعة الغير مرتبة، وغير المخطط لها بحسب الاحتياج، فيتأثرون بما يقرأون من الكتب لاسيما من ليس له ملكة نقدية، يمكن من خلالها التفريق بين الحق والباطل، والغث والسمين، فتجد الكثير من الشباب يقرأ في الكتب الفكرية الفلسفية، من دون أن يمحصها، ويعمل عقله فيها ليميز الخبيث من الطيب، لكن مع الأسف تجد الكثير ممن قرأ في كتب الفلاسفة والعلمانيين وأصحاب الأفكار الضالة يتأثر سريعا ء بما يقرأ ويقع في ما لا يحمد عقباه، هذه السطحية الفكرية والثقافية تقود الكثير من الناس إلى تقلبات فكرية، وتجرهم إلى الشكوك في الدين والعقيدة السليمة مما يدعو الكثير منهم في نهاية المطاف إلى الإلحاد[63].

9- **الاضطرابات النفسية:** يتعرض الكثير من الناس لعدد من المشكلات الصحية في الجانب النفسي، والتي تكون نتجت عن أوضاع محيطة بهؤلاء الأشخاص، هذه الحالات النفسية تسبب لكثير من الناس أنواع من الاضطرابات، وتخرجهم عن طور الاتزان، ومن أشهر تلك الاضطرابات النفسية مرض الاكتئاب وهو من أهم الإشكالات النفسية التي قد تجعل الأفكار السلبية والسيئة تسيطر على الإنسان كما أنها قد تحدث نتيجة لهذه شكوك تربك عقله ولا يستطيع أن يتجاوزها.

---

(60) انظر: العمري، ليطمئن عقلي، مرجع سابق، ص 253وما بعدها.

(61)، المرجع السابق، ص 461.

(62) انظر: موقع المقال بتاريخ 2012/2/12م، https: //www.almqaal.com/?p=1702

(63) انظر: الخضر، سقوط الإلحاد على ضوء العلوم الحديثة، ص 7.

كما أن كثير من الظروف النفسية التي تنشأ من الاحوال الاجتماعية القاسية، كالفقر، والمخاوف، تسبب للشخص عدم الاستقرار النفسي وتجره إلى الكثير من اللخبطات وضعف اليقين، والشك وحصول الانهيار الفكري، والذي يؤدي عند الكثير إلى عدم المبالاة بالدين، بل وإنكاره في أحيان كثيرة.

ومن الواضح أن معظم الأسباب السابقة التي أشرت إليها هي في غالبها ردات فعل نفسية وغير كافية لاتخاذ موقف من الدين بشكل كامل فضلاً عن إنكار الخالق، ولكن هذه هي طبيعة الإنسان الذي يبني مواقفه بناءً على ردود الأفعال.

وفي الأخير يمكن القول أنه لا شيء يعدل الإيمان، ومن أخطر ما يمكن أن يواجه حياة الإنسان النفسية ويربك استقراره وطمأنينته أن يفقد إيمانه بالله، لأن الإيمان بالله هو ما يمنح هذه الحياة معنى وهدفا، ودونه يتمزق القلب وتتوه الروح وتغرق النفس في بحار العبثية والعدمية!، ومن يفقد إيمانه بالله يفقد الجوهر الأساسي الذي يشعره بقيمته وهدفه في الحياة، وهذا أمر مؤلم يمزق القلب ويربك الروح، لذا ليتنا نرفق بمن وصل بهم الحال لهذا الأمر ولا نزيدهم ألما على ألمهم وعذابا إلى عذابهم، وبدلا من أن نعين الشيطان عليهم ونخرس أسئلتهم ونتهمهم بالكفر ومرض القلب، بدلا من هذا كله يجب أن نحتضنهم، ونحاورهم، ونرفق بهم، فإن كثيرا منهم هم من أهل الصدق والنبل وحسن الخلق، وربما كان كثير منهم يتمسك بالأخلاق التي جاء بها الدين أفضل مما يتمسك بها المؤمنون.

المبحث الرابع: طرق مواجهة ومكافحة الإلحاد

إن الإلحاد باعتباره وباء قاتل يمحق العبد في دنياه وأخراه يوجب على أهل الصلاح والخير بذل كل الجهد في مكافحته، والوقاية منه، كيلا ينتشر في المجتمع المسلم، وإن كان قد انتشر فبذل الجهود في مكافحته واستئصال شأفته من المجتمع المسلم، وهو الواجب على جميع أطياف ونسيج المجتمع العربي والإسلامي، حكومة وشعبًا، أفرادًا وجماعات، قادة ومؤسسات، كلٌ بحسب دورة ومسؤوليته، ومستواه العلمي والثقافي، حتى يتم وقف تمدد واستئصال هذه الظاهرة الخطيرة، ويرى بعض أهل العلم [64] أن سبل مواجهة الإلحاد يمكن تقسيمها إلى قسمين: سبل الوقاية، وسبل العلاج:

المطلب الأول: سبل الوقاية

وهي التي تهدف إلى بذل الأسباب التي تحول بتوفيق الله بين الشباب المسلم وبين الوقوع في براثن الإلحاد، ومنها اهمها:

أولًا: العكوف على كتاب الله وسنة نبيه تلاوةً وتدبرًا، والله عز وجل يقول: {وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم} [آل عمران: 101]، وقال النبي: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله»[65].

ثانيًا: السعي في الوصول إلى ذوق طعم الإيمان ووجدان حلاوته من خلال التأمل في صفات الله جل وعلا، ومن خلال البحث والتأمل في سيرة المصطفى، ومن خلال التأمل في محاسن الإسلام. كما قال النبي: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا»[66].

ثالثًا: العمل على غرس العقيدة الصحيحة في النفوس بكل وسيلة؛ كالدروس والمحاضرات والخطب والبرامج والمناهج، وكل طريق لا سيما الأصول التي يؤدي الرسوخ فيها -بتوفيق إلى تفكيك الفكر الإلحادي: كالإيمان بالغيب، والإيمان بالقدر، واعتقاد الحكمة في أفعال الله، وتعظيم النصوص الشرعية، مع بيان حقيقة الإيمان وحقيقة الكفر وخطره، والعلاقة بين العقل والنقل، كما يجب أيضًا أن تُعاد الهيبة إلى المواد الشرعية في المناهج التعليمية، وأن يُربَّى الطلاب على أنها الأصل والأعظم والأجدر بالاهتمام في هذه الحياة، وأن تكون لها الصدارة في عدد الحصص، وفي أوقاتها، وفي الدرجات، وليس أن يكون هذا للمواد العلمية التجريبية على حساب المواد الشرعية.

رابعًا: تقوية الشعور بالاستعلاء الإيماني والنعمة الإيمانية، واليقين بأن الله مع المؤمنين؛ يكلأهم برعايته، ويمدهم بعونه وتوفيقه، ثم منقلبهم في الآخرة إلى جنات النعيم، حيث غاية لذتهم رؤية البر الرحيم سبحانه.

خامسًا: "الترشيد الثقافي"، بملاحظة مصادر التلقي التي يستقي منها الشباب أفكارهم؛ فيُلاحَظون فيما يقرأون، وفيما يتابعون من مواقع، ولا يترك لهم الحبل على الغارب، فإن من أعظم الأخطار أن يسمح للناشئ أن يبحر في الشبكة كيف شاء دون رقيب أو حسيب، ولن نصل إلى تحقيق الطمأنينة والأمن لأبنائنا إلا إذا وصلت العلاقة بين الابن وأبيه والأخ وأخيه والمعلم وتلميذه إلى مرحلة

(64) انظر: سندي، الإلحاد وسائله، وخطره وسبل مواجهته، ص 45.

(65) رواه مسلم، برقم (1218) واخرجه الدراقطني، (245/4)

(66) رواه مسلم، برقم (57) من حديث العباس بن عبد المطلب.

الصداقة؛ بحيث يكون الصدر المفتوح أمامه ليبثه الشبه التي تعرض له والأسئلة التي تحيره، بدل أن يبحث عن أجوبتها في جحور الحيات والعقارب[67].

سادسًا: تأصيل المنهج الشرعي في التعامل مع الشبهات؛ بالنأي عنها، والسعي في كشفها، وهذا من الأمر المهم الذي ينبغي أن نُعنى بغرسه في نفوس الناشئة، وهو أن الشبهة داء ولا ينبغي التعرض للداء والسلامة .كما قال السلف لا يعدلها شيء، ومنع المبادي أولى من قطع التمادي، والشُّبهة فتنة، والنبي أخبر أن الفتن من استشرف لها استشرفت له، وعليه فيجب أن يُقنع الناشئة -وغيرهم- بألا يرخوا أسماعهم لمن يبث في نفوسهم الشُبه؛ فإن الشُبه خطَّافة والقلوب ضعيفة؛ فالاستماع للشبهة إذن مغامرة غير محسوبة العواقب، وكم من إنسان ظن في نفسه القوة والعلم فوَلج إلى موقع أو استمع إلى مُلبِّس فأوقع في صدره شبهة لم تخرج منه؛ بل صرعته وفعلت به الأفاعيل. ثم إنه إذا ابتلي بها -عن غير تنقير عنها- فعليه أن يلجأ إلى الله في أن يعافيه منها، ثم أن يراجع -على عجل- أهل العلم لكشفها.

سابعًا: رعاية شباب المسلمين المبتَعثين في بلاد الكفر، وقد حسم علماؤنا هذا الباب، فبيَّنوا ما يحل من الابتعاث وما يحرم، وما ضوابط الحِلّ، والواقع الذي نعيش فيه، فيه مشكلة لا ينكرها عاقل، والواجب على الغيورين أن لا يقفوا مكتوفي الأيدي ويتركوا هؤلاء الشباب – وهم حدثاء في أسنانهم، ضعيفون في تجربتهم- صيدا سهلا لهؤلاء الملاحدة، ولهذه الدعوات الهدامة.

ثامنًا: أن تقوم الجهات المسؤولة من الجهات المعنية بالدعوة أو الحسبة أو رعاية الشباب أو التعليم أو غيرها بتجفيف منابع الإلحاد واجتثاث أسبابه، وهذا موضوع واسع.

تاسعًا: إقامة حكم الله عز وجل فيمن وقع في هذا الكفر الغليظ، وبهذا يرتدع الآخرون، كما قال عثمان رضي الله عنه: "ربما يَزَع السلطانُ الناسَ أشدَّ مما يزعُهُم القرآنُ"[68].

عاشرا: التزام الوصايا النبوية العظيمة الواردة في هذا الباب، ومنها: الإكثار من ذكر الله تبارك وتعالى؛ فإن الإلحاد ليس قضية علمية ثابتة، وإنما هو مجموعة وساوس، والوساوس إنما تنفذ من خلال الشيطان، وينبغي العمل بالوصية النبوية في هذا الباب، وهي قوله كما في صحيح مسلم: «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا خَلقَ الله الخلْق؛ فمن خَلقَ الله؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل: آمنت بالله»[69]. وقد جمع أهل العلم خلاصة ما جاء في الوصايا النبوية لمن ابتلي بهذه الوساوس التي تصل إلى شكّه في ربه جل جلاله، وهي خمس ينبغي أن يعلمها ناشئة المسلمين: أولًا: أن يقول العبد: آمنت بالله ورسله. ثانيًا: أن يقول: الله أحد الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. ثالثًا: أن يتفل عن يساره بعد هذا القول ثلاثًا. رابعًا: أن يستعيذ بالله من الشيطان، خامسًا: أن ينتهي عن هذه الوساوس؛ فإن النبي قد قال: فإن ذلك يذهب عنه[70].

المطلب الثاني: سبل العلاج

كما أن هناك خطوطاً عريضة واستراتيجيات لكيفية علاج ظاهرة الإلحاد على النحو التالي:

أولاً: دور الدول والقيادات:

وذلك عبر مسارات عدة، منها:

1- نشر التنمية والازدهار ومكافحة الفقر، والمرض، والتخلف، والبطالة.
2- سن وتطبيق القوانين التي تكافح الإلحاد، وتقضي على الشذوذ الفكري، والجريمة الأخلاقية.
3- دعم الخطاب الديني وأسلوبه ومرتكزاته: وذلك بإنتاج خطاب ديني برهاني يعتمد على ترسيخ عقيدة الربوبية، وإظهار نعم الله على خلقه، كما ينبغي أن يعتمد منتج علمي مؤسسي أكاديمي، بحيث ينتقل من التلقّي المعرفي إلى الإنتاج، وذلك لدعم رؤيتنا في نقد ما نراه داعيًا للإلحاد، ولا نغفل في هذا السياق عن التذكير بضرورة قراءة الفلسفية المعاصرة وفهم سياقات الاستدلال الإلحادي والإيماني، للخلوص إلى أسلوب الفريقين وإمكان التعامل معهما بكفاءة.
4- تطوير المناهج الدراسية: بأن تكون المناهج الدراسية باعثة على الإيمان واليقين لا مجرد معلومات تدرس ثم تنسى، ويبقى الدور الأهم للمعلم المؤمن برسالته والذي يستكمل النقص في المنهج، كما ينبغي تدريس العقائد بشكل يتناسق فيه الفكر مع العاطفة، وذلك بإعادة صياغة علم العقائد صياغة يتعلق فيها القلب بالله تعلقا ينجيه من المهالك ويشعره بمحبة الله سبحانه لخلقه وذلك اقتداء بطريقة القرآن الكريم ولنأخذ مثلًا قوله تعالى: {**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**} [غافر: 64].

(67) انظر: سندي، الإلحاد وسائله، ص 56.
(68) انظر: ابن شبة، (988/3).
(69) رواه مسلم، برقم (134)
(70) رواه أحمد في المسند برقم (26203)

ثانيًا: دور المؤسسات الدينية الرسمية:

وذلك عبر مسارات عدة، منها:

1- التحصين من هذه المشكلة بالطرق المثلى عبر المحاضرات والندوات وخطب الجمعة وغيرها.

2- إعداد فريق من الدعاة والمتخصصين: وتدريبهم وتهيئتهم علمياً وعقلياً على فنون المناظرة وأصول الجدل في المنتديات التي تبث مثل هذه الأفكار، وتحصينهم وتجهيزهم بكل ما يحتاجون من دعم نفسي وعلمي وفكري لمواجهة مثل هذه الأفكار.

3- عمل الدراسات والبحوث والمؤلفات التي تخدم هذا الباب، ووضع الاستراتيجيات المثلى لمواجهة الإلحاد.

4- فتح المراكز المتخصصة: وذلك برصد الأفكار التي تبث في مواقع النت وكتابات الكتاب، ومعالجتها من خلال اجتماع فئات من المتخصصين في المجالات الشرعية والفكرية والعلمية وتعميق النقاش بها، ورصد القيم العلمية والتي تعزز أفكار الإلحاد من خلال كشوفات العلوم الحديثة والتي يعتمد عليها هؤلاء الملاحدة في تعزيز نظريتهم لمسائل الخلق والنشأة وسيرورة التكوين، مثل علوم الفيزياء والأحياء والجينوم الاحفورات التاريخية وغيرها.

5- إرسال البعثات والقوافل الدعوية: إلى المدارس، والنوادي، والجامعات، وتحصين الشباب مما يمكن أن يعرض لهم في المستقبل من أفكار قد تثير شكوكًا عند البعض، وكيفية مواجهتها، والإجابة عن الشبهات المثارة بعبارة واضحة وبشكل جماعي وموسوعي، مفندين للشبهات مع مراعاة الطبيعة النفسية والعقلية للفئة المستهدفة.

6- تحسين الخطاب الديني: وذلك بالتزام الخطاب المعتدل، وتعزيز ركائز الإيمان والعقيدة السليمة، وإبراز محاسن الإسلام وكماله، والتصدي لمظاهر تشويهه من قبل المتطرفين والإرهابيين، وفك أي ارتباط يرمي إلى ربط الدين بأي ممارسة خاطئة، وتصحيح المفاهيم المغلوطة حول العلاقة بين الدين والعلوم الطبيعية وغيرها، وتجديد لغة الخطاب، وتقديم المادة العلمية والوعظية بأسلوب متميز ووفق معايير تراعي المعاصرة وتواكب التحديات.

7- الانتقال من حال الرد إلى النقد: فليست قضية الإيمان بالخالق أمراً هامشيًّا وإنما هي أساس التعاطي مع الوجود كله، والتوقف عند الرد معضلة توحي بالانهزام والفراغ العلمي؛ إذ إن التيار الإلحادي تيار هدمي؛ يسعى أفراده إلى هدم التصورات الدينية دون أن يقدموا فلسفتهم الخاصة للوجود، ومتى ما سعوا في ذلك فمن السهل ملاحظة حالة التعجل والسطحية والحيدة عن مواضع الإشكال، وهو ما يكشف عن مشكلات كثيرة تعصف بهذا الخطاب.

ثالثًا: دور المثقفين والإعلاميين:

وذلك عبر مسارات عدة، منها:

1- التوعية بخطورة هذه المشكلة، وبيان مفاسدها، وعمل البرامج والمبادرات التي تُعنى بهذا الأمر، والاستعانة بالمتخصصين فيه، والتزام الثقافة الإيجابية، والإعلام الهادف.

2- تأهيل طلبة العلم الشرعي والباحثين لمواجهة هذه المشكلة بالطرق السديدة، ووضع برامج لأطروحات الماجستير والدكتوراة تُعنى بجوانب هذا الموضوع من كافة أبعاده، وتواكب ما يستجد حوله؛ لإثراء المكتبة العربية والإسلامية وتزويد القرَّاء بالتصانيف المتميزة.

3- تضافر الجهود على مستوى المجامع الإسلامية الكبرى مثل منظمة التعاون الإسلامي، وإنشاء مجمع إسلامي دولي يُعنى بهذه المشكلة وغيرها، يجمع بين علماء الشريعة وعلماء التخصصات الأخرى.

4- فتح قنوات للحوار مع الملحدين، وإدارة الحوار معهم بالحسنى لأن الإيمان والإلحاد أمر فكري، والفكر لا يواجه إلا بفكر تصحيحي دون الاستماتة في إرجاعهم لحظيرة الإيمان فإنما علينا البيان وليس الهدى، مع ضرورة العناية بالرسوخ العلمي والخطاب العقلي الذي يناقش تفاصيل القضايا العقدية والفكرية القديمة والمعاصرة.

5- الإلحاد باعتباره مشكلة فكرية لها آثار سلوكية فلابد من الحدّ من النفوذ الإعلامي لدعاة الإلحاد ومروجيه في جانبه الفكري الفلسفي وفي جانبه الخلقي الإباحي.

رابعًا: دور الأفراد والأسر:

1- العكوف على كتاب الله وسنة رسوله تلاوة وتدبرا، وتذوق طعم الإيمان من خلال التأمل في صفات الله وسيرة رسوله، وغرس العقيدة الصحيحة في النفس بكل الوسائل.

2- التزام الوصايا النبوية العظيمة الواردة في هذا الباب، ومنها: الإكثار من ذكر الله فإن الإلحاد ليس قضية علمية ثابتة، وإنما هو مجموعة وساوس، والوساوس إنما تنفذ من خلال الشيطان.

3- تأسيس أصل التوحيد في قلب الطفل والشعور برقابة الله للإنسان، وبناء مفهوم الرقابة الذاتية، الذي يربى المسلم على رقابة الله في جميع أعماله وأحواله كأنه يراه، قال تعالى: **{الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}** [الشعراء: 218 – 219].

4- معرفة الشبهات التي تنتشر في أوساط الأبناء في كل مرحلة وسن معين وطرحها في جلسة عائلية أسبوعية ومناقشتها من الأسرة بكل أفرادها، وترك الحرية للأبناء لإبداء رأيهم بكل شفافية، والمناقشة الهادئة مع التوجيه السليم.

5- على الأسرة أن تقيم علاقات مطمئنة مع أبنائها، علاقات تجعلهم أكثر إقبالًا على غيرهم وعلى الحياة، عليهم أن يغرسوا فيهم الفضيلة والأخلاق وضروراته منذ صغرهم، وأن يربطوهم بالواقع المحيط بهم، وإحياء روح المعاني في أنفسهم لأنها هي ما ستبقى صامدة أمام الشكوك التي من الممكن أن تزورهم.

خامسا: كيفية دعوة الملحدين:

يذكر أحد الباحثين في ظاهرة الإلحاد تنبيهات قبل الخوض في دعوة أو مناقشة أحد الملحدين، وهي: الأول: المعرفة بأصول الاستدلال العقلي، والثاني: أنه لا بد من التمكن في العلوم الشرعية عمومًا، وفي العقيدة خصوصًا، والثالث: لا بد من الاعتصام بالله وصدق الملجأ إليه، وعدم الاعتداد بالعقل ولا التعويل على قدرته في التعامل مع الشبهات دون عون من القدير سبحانه.

وعند المناقشة يتم مراعاة العديد من الأمور أهمها:

1- تصحيح النية من أنّ الغاية من الحوار والمناظرة أو الدعوة هي هداية الملحد، وتبيين ضلاله بأدلة العقل الصريح والعلم الصحيح، وهذا يحتم توخي الحذر من الشرك الخفي، أعني: الغرور، العجب، الرياء، السمعة، وغير ذلك.

2- مراعاة أدب الحوار والأسلوب الراقي، والدعوة والحوار بالتي هي أحسن، فحسن الأدب وجمال الأداء في عرض الأفكار له تأثير قوي على النفس، ولو شعوريًّا. ولهذا أمر الله سيدنا موسى أن ينهج هذا النهج مع أعتى طاغية عرفه تاريخ البشريّة، فقال: {فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى} [طه: 44].

3- الاعتماد على منهجيّة علميّة ترتكز على أسس يقينية، بعيداً عن الظنون والأوهام، يحكمها المنهج المنطقي العقلي المستند إلى الحجّة والذي لا يقتصر على مجرّد الكلام الوعظي الخطابي، فضلاً عن أن يكتفي بتوجيه كلمات التكفير والحكم بالارتداد، ونحو ذلك.

4- عدم الخلط بين الفرضيات العلميّة والحقائق العلميّة، فالافتراضات العلميّة بحكم أنّها غير يقينية وفي معرض الخطأ لا يمكن أن تشكّل أساساً لبناء رؤية فلسفية إزاء الكون والوجود، فرؤية كهذه تحتاج إلى أدلّة وبراهين يقينيّة، وعليه فإن الفرضيات العلمية الحديثة التي يتعمد عليها الملحد لا ترقى إلى مستوى الحقيقة العلميّة وإنّما هي مجرد فرضيّة علميّة، فلا تصلح مستنداً لرفض فكرة الخالق أو إبطال المعتقدات الدينيّة[71].

5- عدم الخروج عن الموضوع، فلا يخرج بك الملحد عن أصل دائرة الحوار، ويأخذك إلى قضايا ظنية، ومسائل جزئية، فغالباً ما يحيد الملحد عن قضية وجود الله من عدمه ويشغب بأسئلة أخرى، لماذا شرع الله كذا وحرم كذا؟، فالعقل الإلحادي يعجز عن فهم مستويات الوجود: الواجب، الممكن، المستحيل. ولهذا تراه يخلط في أسئلته وافتراضاته، ويؤسس عليها كمًّا هائلًا من النتائج. ومعلوم في قوانين العقل أنّ المقدمة إذا كانت خطأ، فبالضرورة تكون النتيجة خطأً، ولهذا يشدّدون على: من خلق الله؟! علمًا أن صيغة هذا السؤال مثلًا تهدم نفسها بنفسها؛ لأنّه إذا كان الإله مخلوقًا من طرف الله، إذًا فالله هو الإله والخالق الوحيد، أما الآخر فهو مخلوق وليس إلهًا، وقِس على هذا[72].

6- بعض الحقائق العلمية الموجودة في هذا الكون تستطيع أن ترد بها على الذين ينكرون وجود الله تعالى، ومنها الآتي: الماء واحد والأرض واحدة والنبات مختلف الألوان والطعوم والروائح، اختلاف بصمات الإنسان، وشفرة الدي إن إيه (DNA) التي تقوم ببرمجة سلوك الخلية، ما السبب في نشأة الكون؟ ولماذا يعمل الكون بالقوانين الموحدة للطبيعة؟، ويمكن القول بان الإنسان لم يخلق نفسه ولا أولاده ولا الأرض التي تقله ولا السماء التي تظله، والبشر الذين ادعوا الألوهية من دون الله لم يزعموا لأنفسهم خلقاً ولا نفعاً ولا ضراً.

---

(71) أنّ العقل من أهمّ المصادر للمعرفة البشرية، وأن قواعدنا المعرفيّة تبني الإيمان على أساس العقل، ولا ترى منافاةً بين العلم والدين، بل وتعتبر أنّ العلم يؤكّد الإيمان ولا ينفيه. لا بدّ أن نفرّق بين حقائق الدين ونظرياته، يقينياته وظنّياته، وكلياته وجزئياته، فالحقائق الدينية هي القطعيات والبديهيات التي لا تخضع للاجتهاد، بينما النظريّات هي القضايا الاجتهاديّة، ومنها المعطيات العلميّة.

(72) من خُدع الإلحاد الماكرة أنّه يعتمد على طرح أسئلة هي في أساسها مبنيّة على أصول أخرى، وبدون التسليم بتلك الأصول والاقتناع بها، تجرّ تلك الأسئلة الماكرة صاحبها إلى بلبلة فكريّة واضطراب عقائدي مثل: لماذا خلقنا الله بدون أن يأخذ رأينا (أنت مخلوق فكيف يأخذ رأيك؟) إذا كان الله - سبحانه - يريد الخير لنا، فلماذا خلق النّار قبل أن يخلقنا: (أنت مخلوق عاجز عن فهم طبيعة روحك، فكيف تريد أن تحيط علما بحكمة الله المطلقة؟)([24]).

7- أهم شبهات الملحدين والرد عليها، وشبهتهم حول وجود الإله لا حول الإسلام، وقد بينا سابقًا أن الملحد لا يناقش إلا بمسألة وجود الخالق، فهي لب مشكلته، ومن ذلك:

س / من خلق الله؟

ج / 1 - الله ليس مخلوقا لنسأل من خلقه.

2 - لو قلنا أن الله مخلوق فإن لخالقه خالق ولخالقه خالق وهكذا، وهذا يؤدي في التسلسل في المؤثر، وهذا ممتنع.

3 - قانون السببية لا يعمل في مسألة الخالق لأنه متعلق بالمخلوقات وإسقاطه على الله يؤدي إلى التسلسل في المؤثر وهو ممتنع عقلا.

4 - ثبت منطقيًا وعلميًا أن الكون محدث وله بداية، وما ثبت هذا على الخالق سبحانه، فلا مبرر لسؤال من أحدث الخالق وأوجده! بل هو أزلي قديم.

س / هل يستطيع الله خلق صخرة لا يستطيع حملها؟!

ج / 1 - الخلل في نفس السؤال، لأن هذا الأمر لا يُتصور عقلا، فهناك في علم المنطق أمر يسمى المستحيلات، وهي الأمور التي لا يتصورها العقل السليم.

2 - مثل أن يكون الإنسان موجودًا وغير موجود في نفس اللحظة والمكان، فقدرة الله هنا لا تتعلق بالمستحيلات لأنها - أي المستحيلات - غير موجودة.

وهناك شبهات كثيرة أخرى رددها الملحدون وتم الجواب عنها، ويمكن الرجوع في ذلك إلى بعض المواقع (73).

اختتمت بحثي حول قضية الإلحاد بهذه الرسالة الجميلة التي كتبها أمير الشعراء / أحمد شوقي، إلى كل ملحد، تحت عنوان «الحقيقة الواحدة»، والتي قال فيها: يا مُتابعَ المَلاحِدَة، مُشايِعَ العُصْبةِ الجاحدة، منكرَ الحقيقة الواحدة: ما للأعمى والمرآة، وما لِلمُقْعَد والمِرْقاة، ومالَكَ والبحثَ عن الله؟

وفي الأخير يتمنى الباحث ان الله جل علاه قد وفقه للوقوف على أبرز معالم الظاهرة الإلحادية، وبيان حقيقتها ومكوناتها وكيفية التصدي لها، باعتبارها ظاهرة إنسانية لها تاثيرات سلبية على الفرد والمجتمع، الامر الذي استدعى الخوض في هذه الدراسة وتسليط الضوء على إمكانية مكافحة هذه الظاهرة، ومحاولة التخفيف من توسعها وانتشارها، خاصة في عالم اليوم الملئ بالتناقضات والأفكار والمعتقدات الخاطئة.

الخاتمــة

الحمد لله أولاً وأخيراً على نعمه الظاهرة والباطنة، فهو الهادي إلى سواء السبيل، وبعد الغوص بحار العلم والمعرفة، ترسو سفينتنا على شاطئ الأمان أمان الشريعة، وتستقر على حال الطمأنينة، بما توصل إليه الباحث من النتائج والتوصيات التي يلخصها على النحو التالي:

أولا: النتائج:

أظهرت الدراسة العديد من النتائج أبرزها:

1- الإلحاد هو الميل عن الحق والعدول عنه إلى الوقوع في الباطن.

2- أن من مفاهيم الإلحاد المعاصر نشوء الكون والحياة، تلقائياً عبر قوانين الطبيعة، والحياة والموت عمليات فيزيائية بحتة، لا وجود لشيء اسمه الروح، ولا حياة بعد الموت.

(73) كهنة الإلحاد - أشهر الشبهات التي يروجها الملاحدة الجدد والرد عليها. موقع متخصص في الرد على شبهات الملحدين: رد الإلحاد والشبهات العقائدية.

مركز يقين لنقد الإلحادية واللادينية. مركز براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية، شبكة ضد الإلحاد Anti Atheism.، كما يوجد أيضًا كتب كثيرة في الرد على الإلحاد والملحدون، منها ما يلي: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، لنديم الجسر.، الإسلام يتحدى، لوحيد الدين خان، الدين في مواجهة العلم، لوحيد الدين خان، الفيزياء ووجود الخالق، لجعفر شيخ إدريس، عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة، لعبد الله نعمة. الفجوة المفتعلة بين العلم والدين، لمحمد علي يوسف، براهين وأدلة إيمانية، لعبد الرحمن حسن حبنكة. صراع مع الملاحدة حتى العظم، لعبد الرحمن حبنكة، الله يتجلى في عصر العلم، مجموعة من العلماء الأمريكيين، ترجمة: محمد جمال الدين الفندي.، حوار مع صديقي الملحد، لمصطفي محمود، عقائد المفكرين في القرن العشرين، لعباس محمود العقاد.دلائل التوحيد، لجمال الدين القاسمي، الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، لمحمد عبد الله دراز، ليطمئن عقلي، أحمد خيري العمري، وخرافة الإلحاد، ورحلة عقل، د عمرو الشريف، وغيرها.

3- إن الإلحاد له مكونات، هي الأساس في تكوينه في هذا العصر، ومنه الداروينية، والشيوعية، والعلمانية، وغيرها.
4- إن هناك أسباب تم تتبعها ووجد أنها كانت البدايات الأولى لحدوث الإلحاد، ومنها الكنيسة الأوربية وممارساتها الخاطئة، ومظالم النظام الرأسمالي، والمذاهب الاقتصادية، واقتران الإلحاد بالقوة المادية.
5- ظهور الإلحاد في العالم العربي والإسلامي، نتيجة الانهزامية أمام الهجمة الغربية الشرسة، وفتنة الحياة الدنيا والذوبان في مباهج الحياة المادية.
6- أن هناك أسباب خاصة لانتشار ظاهرة الإلحاد في مجتمعاتنا العربية، والإسلامية، منها التطرف الديني، وغرس الكراهية باسم الدين، وتقديس بعض الشخصيات، والخوض في مسائل القدر ووجود الشر في الأرض، وقلة تزكية النفوس، والانهماك في الشهوات والسطحية الثقافية،
7- وجوب مكافحة ظاهرة الإلحاد، وحتمية مواجهته بكل الطرق والأساليب الممكنة، وأن هذا الواجب المتحتم على الأفراد والجماعات، والحكومات، لا يعفى منه أحد.
8- أن الله ناصر دينه، ومعلي شريعته، وأن العاقبة للمتقين، وأن الأفكار الإلحادية مصيرها إلى الزوال والاضمحلال بحول الله وقوته.

ثانيا: التوصيات:

1- يوصي الباحث بضرورة الاهتمام بدراسة الظاهرة الإلحادية دراسة عميقة وتفصيلية بغية الوقوف على حقيقتها، وإيجاد الحلول المناسبة للحد منها.
2- يوصي الباحث مراكز الدراسات والأبحاث بعمل دراسات استشرافية مستقبلية لمعرفة الطرق والوسائل التي يمكن من خلالها مواجهة الظاهرة بطرق علمية منظمة ومنضبطة.
3- يوصي الباحث طلبة العلم والعلماء والدعاة بتجديد الخطاب الديني المنضبط القائم على الأسس العلمية بعيدا عن الطرق التقليدية والتناولات السطحية التي لا تجدي نفعا، والتزام الخطاب المعتدل، وتعزيز ركائز الإيمان والعقيدة السليمة، وإبراز محاسن الإسلام وكماله، والتصدي لمظاهر تشويهه من قبل المتطرفين والإرهابيين، وفك أي ارتباط يرمي إلى ربط الدين بأي ممارسات خاطئة.
4- التأكيد على قيام الجهات المختصة بعمل حملات توعوية وبرامج درامية، منطلقة من دراسات علمية وبثها للجماهير لبيان سلبيات هذه الظاهرة واثارها التدميرية، وتحصين المجتمع من مغبة الوقوع فيها او قبولها، والعمل على غرس العقيدة الصحيحة في النفوس بكل الوسائل.

والحمد لله رب العالمين.

هذا والله أعلا وأعلم جل في علاه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

1- إبراهيم محمد بن قطب: مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق ط الأولى 1403هـ-1983م.
2- الجهني مانع بن حماد: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1420هـ
3- الجوزية ابن قيم (المتوفى751هـ): شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة1398هـ/1978م.
4- الجوهري الفارابي أبو نصر إسماعيل بن حماد (المتوفى393هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ط دار العلم للملايين – بيروت الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987 م.
5- الخضر أسامة على: سقوط الإلحاد على ضوء العلوم الحديثة، ط 2019م.
6- خليل ماهر: سقوط نظرية دارون في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة، المركز العربي للنشر والتوزيع. القاهرة.
7- خوجه حامد إسحاق: حقيقة نظرية داروين، العدد (11) من مجلة الإعجاز العلمي، إصدار، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة- مكة المكرمة، 1427 هـ- 2006م.
8- داروين تشارلز – ترجمة إسماعيل مظهر: أصل الأنواع، بيروت 1973م.ونظرية داروين بين مؤيديها ومعارضها، قيس القرطاس، بيروت – 1391هـ
9- درويش عدنان، المصري محمد: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية الكفوي، ط مؤسسة الرسالة – بيروت.

10- الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد(المتوفى502هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي،: المفردات في غريب القرآن، ط. دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة الأولى - 1412هـ
11- الرويفعى الإفريقى جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى711هـ): لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، ط دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة - 1414 هـ
12- سندي صالح بن عبد العزيز: الإلحاد وسائله، وخطره وسبل مواجهته، ط، درا الاستقامة، القاهرة، 2014م.
13- شريف عمرو: خرافة الإلحاد، ط مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى، 2014م
14- صحيح الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري.
15- صليبا جميل: المعجم الفلسفي، ط الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.
16- عبد الخالق، عبد الرحمن: الإلحاد، أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، ط الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء، الرياض، 1404هـ
17- عثمان محمود عبد الحكيم: جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي، ط مكتبة المعارف الرياض، د ت.
18- العمري أحمد خيري: ليطمئن عقلي، ط عصير الكتب، د ت.
19- العواجي غالب بن علي: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها، ط المكتبة العصرية الذهبية، جدة 2006م.
20- العوهلي البراء، لماذا يلحد بعض شبابنا، محاولة لفهم ومقاربة ظاهرة الإلحاد على الشبكة العنكبوتية بتاريخ 2023/8/11م.
21- القزويني الرازي أحمد بن فارس بن زكرياء، تح: عبد السلام محمد هارون: معجم مقاييس اللغة، ط دار الفكر، عام النشر1979م.
22- كرم يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف ط6. وأصل الأنواع، تشارلز داروين – ترجمة إسماعيل مظهر، بيروت 1973م.
23- المعجم الوسيط لمجموعة من العلماء، ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1429هـ/2008م.
24- النميري البصري عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة: تاريخ المدينة لابن شبة، (المتوفى262هـ، حققه: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة السيد حبيب محمود أحمد، جدة، عام النشر1399هـ
25- الهروي محمد بن أحمد بن الأزهري، أبو منصور (المتوفى370هـ) محمد عوض مرعب، تهذيب اللغة، الناشر دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.